فكرة التحالف مع أوروبا عند أرغون خان مغول فارس ١٢٨٤-١٢٩١ م

د/ علي أحمد محمد السيد
أستاذ تاريخ العصور الوسطى المساعد
بكلية الآداب . جامعة الإسكندرية (فرع دمنهور)

الإنسانيات
آداب دمنهور
العدد الثامن والعشرون
أكتوبر ٢٠٠٨ م

مُقَدِّمَة

تأتى هذه الدراسة ضمن الأعمال التي تنصب على تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب، والمقصود بالشرق في هذه الحالة دولة فارس تحت الحكم المغولىّ، أمَّا الغرب فالمقصود به القوى الدينية والسياسية الأوروبية الرئيسة: الباباوية وفرنسا وإنجلترا فضلا عن بيزنطة. هذا من حيث المكان، أمَّا الزمان فالدّراسة تنحصر في الفترة التي تولى فيها الخان أرغون Arghon حكم فارس (١٢٨٤– ١٢٩١م) ومن ثم تنصب الدراسة على فكرته في التحالف مع بيزنطة وقوى الغرب الأوروبى، مرتكزة على محاور ثلاثة: نشأة الفكر وتطورها التاريخى، والآلية التى اتبعها أرغون لتنفيذها، ثم أثر أوضاع غرب أوروبا السياسية فيما آلت إليه من نتائج.

وجديرُ بالذّكر أنَّه خلال القرنين السابقين اهتم عدد من المؤرخين بنشر الأعمال المصدرية –من حوليات ووثائق وسجلات – التي من شأنها توفير المادة العِلمية اللازمة لدراسة العلاقات المغولية الأوروبية، واهتم آخرون بكتابة أبحاثٍ في هذا المجال بشكل عام، أو في قضيةٍ بعينها ملقين الضوء عليها. ومع هذا الجهد الوافر المشكور هناك قضايا حساسة ومحوريَّة لم تحظ بالتحليل والدراسة اللازمين[١]، بما يتفق مع أهميتها. وما عَنيت به هذه الدراسة يأتى في هذا الإطار؛ إذ تنصب على فكرة محدَّدة هي فكرة تحالف أرغون خان مغول فارس بوذىّ الديانة[٢] مع الغرب الأوروبىّ الكاثوليكي، ضد مسلمي الشرق الأدنى الإسلامي المماليك. خاصة وأن هذه الفكرة لم تكن تعكس رغبة هذا الخان وحسب، وإنما – حظيت بشكل أو بآخر – بصدى سياسى متفاوت لدى القوى الأوروبية ذات الصلة؛ كان من الضروري الوقوف عليه استكمالاً لدراسة الفكرة من جوانبها المختلفة.

ومما شجع الباحث أيضاً على الخوض في هذه الدراسة، أن الفترة المستهدفة فترة مصيرية في تاريخ الأمم التي عاشتها، بالرغم من أنها قصيرة، تمتد لحوالي سبع سنوات فقط، ومع هذا تزخر بأحداث جسام،إضافة إلى أحداث جسام أخرى كانت في الأفق تترقب ما تتمخض عنه فكرة تحالف أرغون مع الغرب، لتتم أو لا تتم، فإذا ما قدر نجاحها، فربما دبت الروح الصليبية، وانتعش المد المغولى من جديد في منطقة الشرق الأدنى بأسرها، الأمر الذى كان من شأنه قلب موازين القوى وتغيير الخريطة السياسية بأسرها في عالم العصور الوسطى، أما وقد حاق الفشل بفكرة التحالف فقد زال الكيان الصليبى في الشام، وأخذت قوة مغول فارس في التراجع، و التخلي عن دورها كقوة مضادة للمماليك، كما أخذت أوروبا تسعى للتحالف مع المغول مدفوعة بالرغبة في التبشير بالنصرانية بينهم بالدرجة الأولى، لتنتقل في مرحلة تالية نحو الإصلاح الديني والسياسي؛ مع تقلص الروح الصليبية، بينما استمرت دولة المماليك تمارس دورها التاريخي المعروف المقدّر لها.

وعلى ذلك، اعتمدت الدراسة على عدد من المصادر المعاصرة، سواء الحولية منها أم الوثائقية، فضلاً عن مجموعة من الدراسات التي من شأنها إبراز رأى أو توضيح معلومة، فأضافت زخماً وعمقاً إلى البحث. ولعل أهم هذه الحوليات ما كتب – في الأصل – باللغة السريانية عن رحلة الراهب النسطوري رابان ساوما Rabban Sawma[٣] المتوفى عام ١٢٩٣م سفير أرغون إلى بيزنطة والقادة فى الغرب الأوروبى (١٢٨٧– ١٢٨٨م.) وقد نُشِرَت عام ١٩٢٨م.[٤]. أما أهم المراسلات بين قادة المغول و الغرب فتلك التى نشرها م. أبيل ريمسات M. Abel-Rémusat عام ١٨٢٢م[٥] فى شكل فصول عدة لا يخص الدراسة منها سوى الفصل السابع المتضمن كثير من الوثائق الخاصة بفترة حكم أرغون وأفاد منها ج. ب. شابو J. B.

Chabot و أضاف، إذ ترجمها عن اللاتينية، في مؤلفه القيِّم عن العلاقات بين أرغون والغرب، المنشور عام ١٨٩٤م[٦]. وفضلاً عن الترجمة ساق ملاحظات مهمة من مصادر تاريخية أخرى توضيحاً للنصوص. ومن المهم أيضاً الإشارة إلى ما قدمه أ. س. مول A. C. Moule من وثائق ترجمها في كتابه عن المسيحية بين مغول الصين، المنشور عام ١٩٣٠م[٧]. أما الدراسات الحديثة، فمنها ما مسَّ هذا العمل من قريب أو بعيد بشكل أو بآخر[٨]، و لكنها لم تنصب على فترة حكم أرغون و لا أفكاره حول التحالف إلا إنها ساعدت الباحث على فهم الخلفيات التاريخية للأحداث، بلورة الفكرة لدى الخان أرغون، وصدى هذه الفكرة لدى قادة الغرب الأوروبي – فضلاً عن بيزنطة – في رؤية شاملة.

أولاً: فكرة التحالف المغولي الأوروبي وأطوارها:

وقبل الخوض في دراسة فكرة التحالف مع الغرب الأوروبى عند الخان أرغون من خلال سفاراته، علينا أن نتتبع أطوار هذه الفكرة، منذ نشأت ثم تبلورت في أذهان قادة الغرب الأوروبي، من خلال نبذة تاريخية عن أحوال القوى المغولية والأوروبية زمن تلك السفارات. أسس المغول دولة عظمى كانت منغوليا غربى الصين قاعدة لها، ومع أواسط القرن الثالث عشر الميلادي بلغت أوج توسعها وقوتها، إلا أنها قُسِّمت إلى أربع أيلخانات كبرى، كانت لاثنتين منها علاقات مع الغرب الأوروبي، هما أيلخانية الصين، التي كان يحكمها الخان قوبيلاي Khublai (١٢٦٠– ١٢٩٤م.)، وأيلخانية أذربيجان وتضم كلاً من فارس والعراق وأرمينيا، وعاصمتها تبريز، وكان يحكمها هولاكو Hulaghu (١٢٥٨– ١٢٦٥م.) – أخو قوبيلاي – وسلالته حكماً وراثياً[٩]. أما في الغرب فأخذت فكرة وجود مملكة في تانجوت Tangut بإقليم منغوليا – تقطنها غالبية مسيحية نسطورية – في التحول إلى اعتقاد أسطوري وهو أن ملكها جورج George المعاصر لأرغون هو

الكاهن يوحنا Prester John الحليف القوي الذي سينتصر للمسيحيين(١٠)، إلا أن خيبة آمال الأوربيين كانت كبيرة، حينما وجدوا شرق أوروبا عُرضة للاجتياح المغولى، بيد أن ذلك لم يحُل دون قيام علاقة بين المغول وأوروبا أفضل من تلك التي بين المغول والمسلمين، وكانت موقعة عين جالوت عام ١٢٦٠م. – التي هُزم فيها المغول– سبباً إضافياً لتدعيم هذه العلاقة، وبعد أن كانت البابوية وملوك أوروبا حريصين على التحالف مع المغول ضد المسلمين وأكثر إلحاحاً على ذلك، غدا المغول أكثر اهتماماً بتدشين هذا التحالف، بعد أن تخلو عن إدعاء السيادة العالمية، فضلاً عن الشقاق الذى دب بين هولاكو وجيرانه من المغول، وهو الأمر الذى شغله عن المماليك؛ مما أعطى لهؤلاء الفرصة لممارسة ضغوطهم العسكرية على كل من الصليبيين والمغول في الشام(١١).

وفي أثناء تواجد هولاكو في بلاد الشام في عام ١٢٦٢م.، وفدت إليه بعثة من قبل بطريرك بيت المقدس الاسمي في عكا برئاسة الراهب الإنجليزى داوود الإشبى David of Ashby، وتحدث رجالها إليه عن الكاثوليكية وباباوية روما، إلا أن هولاكو احتجز هذا الراهب لاستخدامه في مساعيه الدبلوماسية القادمة مع الغرب اللاتيني(١٢). وهناك من يفيد بأن هولاكو أرسل سفارة تضم شخصاً يدعى جون الهنغاري John of Hungaria تحمل عروضاً للبابا وملوك أوروبا بالتحالف معه ضد المسلمين، وضرورة العمل العسكري المشترك لانتزاع مدينة القدس منهم ومنحها للمسيحيين(١٣). وحيال ذلك أرسل البابا إلى الخان المغولي يبلغه بأنه أرسل إلى بطريرك القدس (الصليبي) بعروضه لينظر فيها، بصفته ممثلاً للبابوية في الشرق اللاتيني(١٤). وبذلك وضع هولاكو مع بابا روما أسس التعاون بين المغول وأوربا ضد المسلمين، في مرحلة ما بعد معركة عين جالوت.

وفي الواقع لم يضع هولاكو أساس التعاون بين المغول والغرب الأوروبى في المرحلة التالية وحسب، وإنما رأى أيضاً أن التحالف مع الإمبراطورية البيزنطية أمرٌ في غاية الأهمية لإحداث التوازن بين القوى في منطقة الشرق الأدنى، فضلاً على الحصول على دعم الإمبراطورية ضد المماليك ما أمكن. فأرسل الخان إلى الإمبراطور البيزنطى ميخائيل الثامن باليولوجوس Michael VIII Palaologus (١٢٥٩– ١٢٨٢م.)[١٥] يسأله زوجة له، وأرسل له الأخير ابنة غير شرعية له هي ماريا Maria، وعندما وصلت ماريا إلى تبريز كان هولاكو قد توفى، في الثامن من فبراير عام ١٢٦٥م.، فتزوجها ابنه الخان أبغا Abaga (١٢٦٥– ١٢٨٢م.) [١٦]. وبذلك حلت ماريا – التي عرفت في البلاط المغولي باسم ديسبينا خاتون Despina Khatun – محل طُقز خاتون النسطورية زوجة هولاكو التي كانت قد توفيت، ووجد فيها المسيحيون حامياً جديداً للمسيحية[١٧]، وكان في هذا الزواج مدعاة إلى الظن بأن أبغا نفسه تم تعميده وأصبح مسيحياً[١٨]، وأياً ما كان الأمر، فقد أدى زواج ماريا من أبغا إلى تقارب المعسكرين المسيحي والمغولي بشكل أوثق ضد المماليك.

وفي الوقت الذى تولى فيه الخان أبغا حكم مغول فارس، كان السلطان المملوكى الظاهر بيبرس (١٢٦٠– ١٢٧٧م.) – المحنك عسكرياً وسياسياً – يوجه ضربات متلاحقة ضد صليبيى الشام وأرمينيا الصغرى المتحالفة مع المغول، فراسل ملكها هيثوم الأول Hetoum I (١٢٢٦– ١٢٦٩م) وأبغا، البابا كلمنت الرابع Clement IV (١٢٦٥– ١٢٦٨م.) في أواخر عام ١٢٦٦م. يطلبان مساعدته ضد المسلمين[١٩]، و سرعان ما بارك – في العام التالى – خروج حملة صليبية، وأصدر أوامره إلى الكنائس الغربية كافة بتوفير أموال للمساعدة في إعدادها، أى أنّ رد فعل البابا كان مبشراً للمغول، خاصةً حينما أبلغ الخان باستعداد ملوك أوروبا وأمرائها أن يذهبوا إلى الأراضى المقدسة لمهاجمة المماليك، وأنه سوف يُبلغ هؤلاء القادة

بالنصائح التي ضمنها أبغا في خطابه إليه عند التحرك[٢٠]. إلا أن أبغا انخرط، منذ اعتلائه العرش، في حروب ومنازعات مع مغول القبيلة الذهبية Golden Horde والأغطائيين من أبناء عمومته شرقاً[٢١]، فضلاً عن مهاجمة بيبرس أرمينيا مرة أخرى عام ١٢٦٨م.[٢٢]، الأمر الذى شغل الخان بالقدر الذى منعه عن عمل شئ يذكر فى إطار التحالف مع الغرب لإنقاذ الصليبيين.

هكذا اكتوت أرمينيا الصغرى و اكتوى الصليبيون والمغول بحروب السلطان بيبرس، وشعروا جميعاً بالأهمية القصوى للتحالف ضده، ولذا وصلت سفارة مغولية إلى أوروبا عام ١٢٦٩م. ، و تنقلت بين قادتها بغرض إبلاغهم بأن جيوش مغول فارس على أهبة الاستعداد لغزو الشام بمجرد وصول القوات الأوروبية إليها[٢٣]. وعليه خرجت من مملكة أراجون Aragon حملة بقيادة ولدىّ ملكها جيمس الأول James I (١٢١٣-١٢٧٦م) في سبتمبر ١٢٦٩م الذى أبحر بأسطول قوى من مدينة برشلونة Barcelona بغرض التوجه إلى الشام والانضمام إلى المغول، إلا أن العواصف دمرتها وأجهضتها[٢٤]. في حين قصدت حملة فرنسية كبرى تونس عام ١٢٧٠م. وباءت بالفشل الذريع أيضاً بوفاة قائدها لويس التاسع Louis IX ملك فرنسا (١٢٢٦- ١٢٧٠م.) [٢٥]، وكانت للإنجليز حملتهم محدودة العدد، التي وصلت إلى عكا في العام التالى ولم تكن أحسن حالاً من سابقتيها الأرجوانية والفرنسية [٢٦]، ولعل فشل هذه الحملات حمل معه الدليل على فشل التحالف المغولى الأوروبى حتى هذه المرحلة.

أثبتت الأحداث السابقة أيضاً مدى ضعف الكيانات الصليبية في الشام، وعجز القوى الأوروبية عن حمايتها من قوة دولة المماليك الفائقة، فأخذت دعوة شارل كونت أنجو Charles Count of Anjou ملك صقلية ونابولى (١٢٦٦- ١٢٨٢م.) لعقد هدنة مع المماليك تجد صدى لدى أمراء

الصليبيين في الشرق اللاتينى، في حين تفرغ بيبرس لتأديب الخان أبغا على ما أبداه من تعاون مع الصليبيين ضد بلاده، ورفضه الصلح معه[٢٧]. وفى ذلك الوقت انتقل بطريَرك بيت المقدس جريجورى العاشر Gregory X في عام ١٢٧١م. إلى روما ليعتلى كرسى البابوية حتى وفاته عام ١٢٧٦م. [٢٨] و كان يدرك الضعف الذى عليه الصليبيون؛فعقد مجلس ليون Councel of Lion الكنسى؛ بغرض إرسال حملة صليبية لدعمهم. وعقدت أولى جلساته في أول مايو عام ١٢٧٤م، وتمخضت تلك الجلسات، التي استمرت زهاء الشهرين ونصف الشهر عن قرارات، من أهمها ضرورة شن حملة صليبية بالتحالف مع المغول، وجمع أعشار الدخول من أجل تحقيق هذا الهدف[٢٩]. وما يهم الدراسة من هذا المجمع أن مغول فارس أرسلوا من قِبَلِهِم وفداً للمشاركة في أعماله[٣٠]، وأن سفراء منهم توجهوا إلى عواصم الغرب الأوروبى الكبرى عقب انتهاء الجلسات[٣١]. ومن هذا نلمس مدى حرص الخان أبغا على خروج حملة مغولية صليبية مشتركة ضد المسلمين،وأنه كان المبادر إليها.

ولم يكن بد من أن يقدم المجمع الدينى المسيحى الكبير في ليون – الذى من شأنه تأليف قلوب الحاضرين فيه، على الرغم من اختلاف مللهم وأعراقهم – لم يكن بد من أن يقدم دفعَةً لفكرة التحالف المغولى الأوروبى، مما ينبئ بقيام حملة صليبية كبرى لردع المماليك واسترجاع القدس، تدعمها جيوش المغول، إلا أن هذا لم يحدث؛ إذ منيت مملكة أرمينيا الصغرى حليفة مغول فارس بهزيمة كبرى على أيدى المماليك في عام ١٢٧٥م، دون أن يجرؤ الخان أبغا على التقدم لمساعدتها[٣٢]. وتكرر الموقف مع سلاجقة الروم الحليف الآخر لمغول فارس ؛ إذ تقدمت الجيوش المملوكية إلى آسيا الصغرى فبلغت سهل أبلستينAbulistin في إقليم مرعش (بلدة آل بستان حالياً)[٣٣] وأنزلت هزيمة كبرى بجيش المغول هناك في التاسع عشر من أبريل عام ١٢٧٧م. وعندما حضر الخان أبغا إلى ميدان المعركة انتحب

من هول منظر القتلى من جنوده. ولم يتمكن من فعل شئ سوى أن عاد فأرسل سفارة عاجلة إلى المقر الباباوى في روما، وإلى ملك فرنسا فيليب الثالث[٣٤] Philip III (١٢٧٠- ١٢٨٥م.) وملك إنجلترا إدوارد الأول[٣٥] Edward I (١٢٧٣- ١٣٠٧م.)، والواضح أن هؤلاء لم يسمعوا من سفراء أبغا سوى ما سمعوه من قبل من وعود بالانضمام لقواتهم فور وصولها إلى الشرق[٣٦]. وعندما باءت بالفشل جهود الخان في التحالف مع قادة الغرب، قرر الاعتماد بشكل أوثق على القوى المحلية: الصليبيين والأرمن والكرجيين[٣٧] وشجعته على ذلك التغيرات السياسية في المنطقة، من وفاة بيبرس وتولى المنصور قلاوون السلطنة (١٢٧٩- ١٢٩٠م.) وما ترتب على ذلك من انشقاقات داخل الدولة المملوكية. وبينما استجاب الأرمن والكرج للتحالف مع المغول، آثر الصليبيون الوقوف على الحياد. ثم كانت معركة حمص، فى أكتوبر ١٢٨١م، ودُحِرَ فيها جيش أبغا وحلفائه، مجسدا بذلك ضعف جبهة المغول، الناجم عن عدم وحدتهم ضد المماليك[٣٨].

ثانياً: فكرة التحالف مع أوروبا لدى الخان أرغون وآليَّة التنفيذ:

ما لبثت محاولات التحالف المغولى الأوروبى أن هدأت، بل توقفت، عقب وفاة الخان أبغا في أول أبريل عام ١٢٨٢م، وولاية أحمد تكودار العرش (١٢٨٢- ١٢٨٤م.)، الذى تحول أخيراً للاسلام، حاول إنهاء حالة الحرب مع المماليك، مما جعل المنصور قلاوون يسعى إلى التحالف معه[٣٩] لكنه فقد عرشه بسبب هذا التقارب، وقتله ابن أخيه الخان أرغون نصير الصليبيين، وخلفه على العرش[٤٠] (١٢٨٤- ١٢٩١م.) وفى عهده تنامت العلاقات بين مغول فارس وأوروبا[٤١] ، بما يعكس اتجاهات هذا الخان وفكره، وبلغ النشاط السياسى والسفارات المتبادلة بينهما الذروة[٤٢]، إذ أرسل إلى الغرب أربع سفارات متوالية على الأقل خلال سنوات حكمه

السبع، بغرض إنعاش مشروع التحالف العسكرى، ودراسة التفاصيل الخاصة بذلك، مع تحديد موعد التقاء القوات المتحالفة. وفى المقابل أرسلت البابوية وملكا إنجلترا وفرنسا مبعوثين من قِبَلِهِم للرد على عروضه، في وقت أخذت فيه قلاع الصليبيين تتهاوى وتسقط في أيدى المسلمين الواحدة تلو الأخرى.

وكانت أولى سفارات أرغون إلى أوروبا . وفقاً لرأى المؤرخ شابو Chapot . قد حملت معها رسالة مؤرخة بالخامس عشر من مايو عام ١٢٨٥م؛ لتسليمها للبابا هونوريوس الرابع Honorious IV[٤٣] (١٢٨٥–١٢٨٧م.)، ويلاحظ أن الخان افتتحها بعبارة "باسم السيد المسيح" مذكراً بأن أمه ماريا البيزنطية كانت مسيحية، وأن المسيحيين في بلاد المغول يحظون بكل رعاية[٤٤]. ومن الباحثين من رأى أن فى افتتاح الرسالة على هذا النحو إشارة إلى توجه أرغون نحو المسيحية[٤٥]، ومن الملفت للنظر أيضاً أن الرسالة لم تكن موجهة للبابا فقط، وإنما شملت أيضاً ملك فرنسا وشارل كونت أنجو الذى حمل لقبا إضافيا "ملك بيت المقدس الاسمى" (١٢٧٧–١٢٨٥م) وعامة الشعب المسيحى[٤٦]، وقد أحسن أرغون اختياره للشخصيات التي يراسلها: البابا رأس العالم المسيحى، وملك فرنسا رائدة الحروب الصليبية على مدى القرنين السابقين، وشارل كونت أنجو صاحب القضية الأول التي فى شأنها أرسل الخطاب.

وقد أوضح أرغون في هذه الرسالة أن رسل الخان الأعظم قوبيلاى جاءت لتبلغه رغبته في إنفاذ الهدايا للبابا، توطيداً لأواصر الصداقة بين الطرفين، ورغبته في حماية الأراضى المقدسة للمسيحيين في الشام، وأكدت الرسالة على أن أرغون يشارك قوبيلاى هذه الرغبة، كما أشار إلى أن مشروع التحالف مع أوربا قد تعثر بضع سنوات بسبب أحداث الصراع على عرش أيلخانية فارس، وحان الوقت لتنفيذه. واقترح أرغون أن تخرج الجيوش المغولية لمهاجمة المماليك في الشام، في حين تأتى حملة صليبية برعاية

من الباباوية وملوك الغرب لمهاجمتهم في مصر في آن واحد، وبذلك يوضعون بين شقى الرحى، وبالقضاء عليهم يصبح للعالم سيدان فقط، هما: بابا روما والخان المغولى الأعظم(٤٧)، وهكذا حاول أرغون المواءمة بين أفكاره وأفكار الباباوية بإقامة هذا التحالف المضاد للمماليك.

صورت كلمات أرغون جديته في إقامة التحالف مع الغرب بغرض تحطيم قوة المماليك، ولعل تفسير ذلك واضح وعلته واضحة؛ فما زالت هزيمة والده أبغا على يدى المنصور قلاوون ماثلة في الأذهان. بيد أنه لم يُعثر على رد البابا على هذه السفارة في السجلات الباباوية، بالرغم من العثور على خطاب أرغون المذكور(٤٨). وقد يرجع ذلك إلى أحوال أوروبا السياسية غير المواتية، في تلك الآونة، للمشاركة في عمل حربى ضد المماليك. وهو ما سيتضح فى الصفحات التالية من هذه الدراسة.

لم يُلن موقف الباباوية المتجاهل لرسالة أرغون عريكته، فأخذ يعد لسفارة ثانية، لعلها تنجح في إتمام مخططه واستمالة أوروبا إليه، ولجأ إلى طائفة المسيحيين النساطرة في بلاد المغول، لعله يجد بينهم سفيراً يصلح لهذه المهمة وللتفاوض بشأنها(٤٩)، حيث وقع اختيار البطريَرك النسطورى مار يبالاها الثالث Mar Yahbalaha III (١٢٤٤- ١٣١٧م.) على **رابان ساوما** لهذه المهمة. وبالفعل حمله الخان ببعض الهدايا وخطابات إلى الإمبراطور البيزنطى أندرونيكس الثانى باليولوجوس(٥٠) Andronikos II Palaiologos (١٢٨٢- ١٣٢٨م.) وقادة الفرنج، كما زوده بالتجهيزات اللازمة، في حين حمله بطريَرك النساطرة بهدايا وخطابات إلى الباباوية، واختار ساوما عدداً من الكهنة والشمامسة لمرافقته في تلك المرحلة. وما لبثت السفارة أن خرجت نحو الغرب الأوروبى في مارس من عام ١٢٨٧م(٥١). ولم تخبرنا رحلة رابان ساوما بتفاصيل خط سير السفارة، إلا أنها وصلت إلى شاطئ البحر الأسود ثم بلغت القسطنطينية على متن

إحدى السفن، وهناك استقبل الإمبراطور أندرونيكس الثانى ساوما بحفاوة شديدة، وأجلسه إلى مائدته وتناول معه الطعام. إلا أن ساوما لم يسجل شيئاً عن مدى استجابة الإمبراطور لمطالب الخان أرغون، واكتفى بوصف الكنائس والمزارات، وعندما أنهى مهمته في القسطنطينية غادرها صوب إيطاليا(٥٢).

و ولّت سفارة أرغون وجهها شطر نابولى، ومنها إلى روما؛ لمقابلة البابا هونوريوس الرابع، بيد أنه كان قد توفى في الثالث من أبريل عام ١٢٨٧م، ولم يكن قد اختير بديل له بعد؛ وعلى الرغم من حسن استقبال الكرادلة لرابان ساوما،فإنهم آثروا الدخول معه في نقاش دينى حول النسطورية، ولم يتطرقوا إلى النواحى السياسية التي جاء من تبريز لمناقشتها، فاكتفى بزيارة كنائس روما الرئيسة وتأدية بعض الشعائر فيها، ثم قرر مغادرتها إلى جنوة Genoa،التى أبدى أهلها حفاوة كبيرة بالسفارة؛ لما علموه من الهدف منها؛ إذ توقعوا انتعاشاً تجارياً ومكاسب لهم في حوض البحر المتوسط(٥٣) إذا ما كتب لتحالف مولى أوروبى أن يكون.

وكانت المحطة التالية للسفير ساوما هي فرنسا؛ فبعد مغادرته جنوة قصد باريس، وبلغها في سبتمبر من العام ذاته، وكان يحكم فرنسا آنذاك فيليب الرابع Philip IV (الجميل) (٥٤) (١٢٨٥– ١٣١٤م.) الذى استقبله بحفاوة شديدة، ووعده بالاستجابة إلى مطالب الخان أرغون الخاصة بالتحالف وشن حملة صليبية ضد المماليك، وعين فيليب من قبله سفيراً من أبرز رجاله ليكون في رفقة ساوما حين عودته إلى فارس يقابل الخان أرغون(٥٥) ؛ ليناقش معه تفاصيل التحالف، دون أن يحدد موعداً لبداية العمليات العسكرية ضد المماليك(٥٦).

ظن رابان ساوما أنه أتم مهمته في فرنسا بنجاح، وعليه أن يكلل هذا النجاح بسفارته إلى الملك الإنجليزى إدوارد الأول، الذى كان يقطن مدينة بوردو Bordeux – وكانت ضمن ممتلكاته– على شاطئ المحيط في

اقليم جاسكونى Gascony. وفى الواقع لم تكن هذه هي السفارة المغولية الأولى التي يستقبلها الملك، فقد سبق له منذ عشر سنوات تقريباً أن استقبل سفير الخان أبغا للغرض ذاته، إلا أن السفير حينها لم يسمع من المفاوضين الإنجليز أكثر من نعت المماليك بالكفار الأعداء(٥٧)، أما بالنسبة لسفارة ساوما فقد اختلف الأمر؛ إذ استقبلها الملك بحفاوة بالغة، وسجل السفير كلمات الملك الإنجليزى في هذا الصدد، ومما نقله عنه: "نحن ملك هذه البلاد قد حملنا الصليب [١٢٧١م.] على عاتقنا، ولا نفكر في شئ سواه، وإنه لينشرح صدرى حينما أعلم أن ما أفكر فيه هو ذاته ما يفكر فيه الملك أرغون". وأبدى إدوارد استجابة لمقترحات التحالف أرضت السفير ساوما، وعبّر عن ذلك بالمشاركة في الاحتفالات الدينية والمناولة داخل الكنيسة مع حاشية الملك(٥٨).

غادر رابان ساوما بوردو عائداً أدراجه إلى جنوة، وكان وصوله إليها في أواخر عام ١٢٨٧م، والتقى هناك بالكاردينال جون أف توسكلوم John of Tusculum(بلدة غرب روما) نائب البابا، الذى أبلغه باستعدادات المماليك للهجوم بغرض القضاء على ما تبقى للصليبيين من كيان في الشرق، وأن حكام الغرب الأوروبى مشغولون بالصراعات بينهم، وبأمورهم الشخصية، عن الاستعداد لمواجهة مثل هذا الخطر. وعلى ذلك قرر ساوما شق طريقه نحو روما لمقابلة البابا الجديد نيقولا الرابع Nicholas IV (١٢٨٨- ١٢٩٢م.)(٥٩)، وعقدت المقابلة في جوٍّ ودِّى، إذ سلمه خطابات أرغون وبطريَرك النساطرة وهداياهما، وعندما حل عيد القيامة Easter (فى ابريل) طلب ساوما إلقاء كلمة على مسامع الكرادلة المجتمعين، ورحب البابا بذلك، فلاحظ الحضور التشابه بين العقيدتين الكاثوليكية والنسطورية. وفى محاولة من البابا لتوحيد الكنيستين ناول ساوما – أى أطعمه وفقاً للطقوس الكنسية – بيده(٦٠). وفى السادس من أبريل عام ١٢٨٨م، سمح

البابا لساوما بمغادرة البلاد، بعد أن حمّله بهدايا ذات مغزى دينى، وخطابات؛ وجه أحدها للخان أرغون،معبّراً فيه عن اعتقاده في أن الخان سوف يعتنق المسيحية في القدس عندما يستولى عليها الصليبيون [٦١]. وهكذا لم يقدم البابا للسفير المغولى ما يشير إلى إرسال حملة صليبية إلى الشرق. وعليه قالت حولية يهودية معاصرة عما آلت إليه سفارة ساوما من نتائج، إنه على الرغم من التعهدات التي قطعها بابا روما بأنه سيتعاون مع أرغون للقضاء على المماليك، فإن الواقع جاء مخيباً للآمال؛ إذ لم يُمده بشئ[٦٢].

ومرة ثالثة حاول أرغون إقناع الغرب الأوروبى بالدخول في تحالف عسكرى معه مستغلا الضربات الموجعة التي يتلقاها الكيان الصليبى على أيدى المماليك، فبعد أن سقطت طرابلس فى يدى قلاوون في أبريل عام ١٢٨٩م[٦٣]، اختار بعناية تاجراً وفارساً جنوياً يدعى **بوسكاريللو أوف جيزولف** Buscarelo of Gisolf ليكون سفيره الجديد إلى قادة الغرب الأوروبى، وكان ذا مصلحة بصفته تاجراً، كما كان له باع في الحرب بصفته فارساً، أى أنه كان شخصية علمانية، الأمر الذى يفسر ما كلفه به أرغون من مهام لا تمت للدين بصلة، كما يعكس إفادة الخان من الدرس الذى تلقنه من اصطباغ سفارة رابان ساوما السابقة بالصبغة الدينية[٦٤]، الأمر الذى ساعد على فتح مجال للجدل حول الدين المسيحى والتبشير بالكاثوليكية بين المغول، وأبعد سفارة ساوما عن هدفها الدبلوماسى.

وكانت للسفارةالجديدة وجهات ثلاث: روما حيث الباباوية، وباريس، ولندن. وإذا كان بوسكاريللو قد حمل لملكىّ فرنسا وإنجلترا خطابات، فالواضح أن السفير اكتفى بالنقاش مع البابا نيقولا الرابع؛ إذ لم يعثر في السجلات الباباوية على خطاب يخصه من أرغون[٦٥]. وغادر السفير المقر الباباوى في أول أكتوبر عام ١٢٨٩م، مزوداً برسائل إضافية من البابا للملك فيليب الرابع والملك إدوارد الأول، لعلها تحمل خلاصة ما انتهى

إليهالفارس الجنوى والبابا من رأى بعد النقاش معاً. وعندما وصل السفير إلى باريس سلم فيليب الرابع خطاب أرغون، الذى يبلغه فيه بأنه سيزحف بجيشه في يناير عام ١٢٩١م. كى يحصر دمشق في العشرين من فبراير من العام نفسه، وعلى القوات التي سترسِل بها أوروبا أن تباغت – في هذه الآونة– المماليك فى مصر والشام، وأكد الخان على أنه سينفذ الشق الخاص به في الموعد المحدد، وإذا ما هزم المماليك فلسوف يمنح القدس للمسيحيين "أما إذا أهملتم الموعد وجعلتم جيوشنا تخوض عملية [عسكرية] فاشلة – وهذا أمر جائز – فحينئذ سوف تندمون"(٦٦). وإلى جانب هذه الرسالة الرسمية وردت عبارات من تدوين بوسكاريللو – في ملحق – تشير إلى بعض التفاصيل التي عليه نقلها شفاهاً، ومنها أن الخان ينوى أن يصطحب معه في حملته على الشام ملكى جورجيا وأرمينيا الصغرى، اللذين يمكنهما حشد عشرين ألف فارس، كما عرض على الملك الفرنسى أن يبيعه خيولاً للقتال بسعر مخفض، بدلاً من إحضارها معه من أوروبا، كذلك عرض عليه توفير ما تحتاجه قواته من إمدادات(٦٧).

ثم وصل بوسكاريللو إلى لندن حيث بلاط إدوارد الأول، في الخامس من يناير عام ١٢٩٠م، وبرفقته ثلاثة من الرجال وطباخ، بالإضافة إلى ثمانية من ساسة الخيول وستة حمالين، وهناك عقد لقاءات(٦٨) مع الملك وحاشيته، وعومل معاملة طيبة ويُستدل من خطاب التزكية الذى حمله السفير من البابا إلى الملك على نية أرغون الصادقة فى الخروج بنفسه على رأس حملة ضد المماليك، نصرة للصليب وحماية لما تبقى من ممتلكات للصليبيين بالشام، وفيه يوصى البابا الملك بضرورة الاستجابة لما يحمله السفير في جعبته من مقترحات الخان أرغون والرد عليها(٦٩). وفى الرد، الذى نشر ج. ب شابو نصه، أثنى الملك على أرغون وحماسه لمساعدة الصليبيين، وشكره على عروضه بتقديم الخيول والإمدادات للقوات الأوروبية

حال وصولها إلى الشرق. وأنه سوف يرسل بسفير للخان لإبلاغه بموعد وصوله تحديداً إلى الشرق، وفقاً لتعليمات البابا في هذا الصدد(٧٠)، وقد استغرقت زيارة بوسكاريللو إلى إنجلترا عشرين يوماً مكث منها ثلاثة عشر يوماً في بلاط الملك(٧١)، ثم غادر لندن عائداً إلى المقر الباباوى لإبلاغ البابا بنتائج مهمته في باريس ولندن(٧٢) التى عكست شك الغرب فيها وتهاوى فكرة التحالف.

وعلى الرغم من فشل أرغون في مساعيه السابقة، أرسل سفارة أخرى، على رأسها اثنان من المسيحيين المغول، هما **أندرو زاجان** Andrew Zagan **وسبادين أرخون** Sabadin Archon(٧٣). وكانت روما وجهة السفارة في البداية، وهناك استقبلها نيقولا الرابع استقبالاً حسناً، و زوّد السفارة برسائل من لدنه إلى الملك الإنجليزى إدوارد الأول، حُررت الأولى فى الثانى من ديسمبر ،و ورد فيها فضلاً عن اسم أندرو زاجان أسماء ثلاثة سفراء آخرين، هم: بوسكاريللو (صاحب السفارة الثالثة) ومارك Mark ودومنيك Domenic، كما حرر رسالة أخرى في الحادى والثلاثين من الشهر ذاته تحمل اسم السفير سبادين أرخون وتنطوى الرسالتان على نص واحد مفاده توصية البابا للملك بحسن استقبال السفراء، والاستجابة لطلب أرغون بالتحالف وإرسال قوات إلى الشرق(٧٤).

والملاحظ أن المؤرخ ج. ب. شابو لم يُورد في سجلاته المتضمنة خطابات أرغون إلى غرب أوروبا خطاباً موجهاً إلى الملك الفرنسى فيليب الرابع ضمن الرسائل ذات الصلة بالسفارة الرابعة، إلا أن إحدى الحوليات المعاصرة تشير إلى أن أرغون أرسل بالفعل سفارة إلى الملك الفرنسى فضلاً عن سفارته إلى الملك الإنجليزى في عام ١٢٩١م، بغرض تقوية العلاقات معهما وتوضيح موقفه من الدخول في المسيحية، وتقديم المساعدة للأرض المقدسة(٧٥). إلا أن البابا نيقولا الرابع لم يهتم بتحرير خطاب تزكية يحمله السفراء للملك الفرنسى مثلما فعل مع الملك الإنجليزى إدوارد الأول، وقد

يرجع ذلك إلى إيمانه بعدم صدق نية فيليب الرابع في الاستجابة لمطالب أرغون، وفى المقابل كان يشعر بأن الملك الإنجليزى أكثر صدقاً فيما انتوى من حمل الصليب، والذهاب لإنقاذ الأرض المقدسة. الأمر الذى لا يساعد على التسليم بقدوم سفارة إلى الملك الفرنسى ضمن السفارة الرابعة، وحتى في حال حدوث ذلك، فربما تدخل البابا لدى السفراء، وحثهم على عدم التعريج على باريس؛ لإدراكه نتيجة ذلك من قبل حدوثه، ولعل يأس البابا من جهد يقدمه الملك الفرنسى في هذا المضمار جعله يهتم فقط بمباركة رد الملك الإنجليزى، ونقله إلى أرغون مع السفارة عند عودته.

ومع أوائل عام ١٢٩١م. وصل المبعوثان المغوليان إلى إنجلترا لمقابلة الملك إدوارد الأول، وهما محملان بخطابات أرغون والبابا، إلا أن الملك لم يكن عنده جديد يرد به على سفراء أرغون، فكرر كلماته السابقة، التى مفادها أنه سيلتزم بما يقرره البابا في هذا الشأن، وعاد المبعوثان بِخُفّى حُنين إلى روما ليبلغا البابا بما توصلا إليه(٧٦)، وبالفعل راسل البابا في السادس عشر من مارس ١٢٩١م، إدوارد الأول ليشجعه على الذهاب للأرض المقدسة، ويعده بأنه سيحظى بمجد حكمها، وسينعم بثرواتها، وحدد له يوم القديس يوحنا المعمدان St. John the Baptist الثالث والعشرين من يونيو عام ١٢٩٣م، موعداً لخروج الحملة(٧٧).

وبعد أن أمضت السفارة جانبا من فصل الصيف في روما، حمّلها البابا خطاباً في الحادى والعشرين من أغسطس ١٢٩١م، يرد به على خطاب أرغون و يطالبهُ بضرورة الإسراع بالدخول في المسيحية(٧٨)، دون الإشارة إلى موقف أوروبا من مطالب أرغون السياسية. وما لبث البابا أن أرسل بخطاب ثانٍ إلى أرغون بعد يومين فقط، يخبره بأن ملوك العالم الكاثوليكى وعلى رأسهم الملك إدوارد، سينهضون لاستعادة الأراضى المقدسة، بعد الأخبار التي بلغتهم عن سقوط عكا (مايو ١٢٩١م.) وأكد

الخان أنه واثق من أنه في حال التعاون التام بين المغول والغرب الأوروبى فإن جهودهما ستكلل بالنجاح، إلا أن البابا عاد إلى الإلحاح بضرورة تعميد الخان(٧٩).

ثالثًا : أثر أوضاع غرب أوروبا فى فشل فكرة التحالف عند الخان أرغون:

وفى الصفحات التالية تهتم الدراسة بالوقوف على أحوال القوى المختلفة، التي كانت تشكل أطراف الاتصالات، التى تمت بغرض عقد تحالف بين مغول فارس وأوروبا على عهد أرغون، الأمر الذى من شأنه التأثير على الفكرة. وفيما يختص **بأيلخانية فارس** المحرك الأصيل الساعى إلى التحالف يلاحظ أن حاكمها أرغون وضع لنفسه نهجاً لا يحيد عنه؛ هو أنه للاستيلاء على الشام والقدس لابد من أن يكون هذا بمساعدة قادة الغرب الأوروبى المسيحيين(٨٠) وكان يُكن كراهية شديدة للمسلمين، بدليل أنه ارتقى العرش على أجداث عمه تكودار أحمد، وكثير من قادة المسلمين الذين قتلهم. وفى مشهد آخر أعدم أربعة أمراء مسلمين لمجرد أنهم أظهروا ابتهاجهم باسترداد المنصور قلاوون لطرابلس من الصليبيين عام ١٢٨٩م. وفى المقابل أبدى أرغون ميله نحو المسيحيين مظهراً ذلك بحضوره القداديس التي أقامها رعاياه المسيحيون داخل كنائسهم(٨١)، كما سمح لأمرائه بمشاركة المسيحيين طقوسهم الخاصة بالتناول، و زوّج أخته إلى واختانج Wakhtang ابن داود David ملك جورجيا المسيحى، فاعتنقت الميسحية، وحملت اسم أولجا(٨٢) Oldjat السائد بين المسيحيين آنذاك، و ينبغى ألا ننسى في هذا الصدد أن والدة أرغون هي ماريا البيزنطية الأرثوذكسية، التي ربما كانت وراء زواج أميرين من البيت الحاكم، هما سارو Saro وغازان Ghazan من أميرتين مسيحيتين من المغول، راسلهما البابا نيقولا الرابع يطالبهما باستخدام نفوذهيما فى التأثير على توجهات

هذين الأميرين(٨٣). ولعل فيما سبق ما يفسر الدوافع الشخصية لأن يرى أرغون في العالم المسيحى حليفاً طبيعياً له. بيد أن موقف الغرب الأوروبى السلبى من عروض التحالف كان كفيلاً بأن يجعله لا يعول كثيراً على قادته، ويتضح ذلك من الخطابات التي حملتها سفارته الثالثة، التي تفيد إصراره على الخروج لقتال المماليك في أوائل عام ١٢٩١م، دونما انتظار لرد فعل هؤلاء على مقترحاته، الأمر الذى أظهره حاكماً لا يجيد التعامل مع الغرب، غير قادر على تقييم المواقف، فلم تكن فكرته تتناسب مع الأوضاع فى الغرب آنذاك.

وفيما يتعلق بأحوال **الإمبراطورية البيزنطية** وموقفها من فكرة التحالف مع أرغون، ففى واقع الأمر لم يكن للإمبراطورية ثقلها السياسى والعسكرى الحاسم في الربع الأخير من القرن الثالث عشر الميلادى، بيد أن العلاقات الخاصة المبنية على المصاهرات، وما رُتِّبَ عليها منذ عهد الجد هولاكو والوالد أبغا، أضفت أهمية ما على دور الإمبراطورية البيزنطية، ومع ذلك لم تسمح طبيعة علاقة بيزنطة بالغرب الأوروبى السيئة في العادة بتكوين تحالف ثلاثى: مغولى بيزنطى أوروبى ضد المماليك، فحينما استولى ميخائيل الثامن على الحكم في القسطنطينية عام ١٢٦١م، لجأ آخر حكامها اللاتين بلدوين الثانى Balduine II إلى قريبه شارل كونت أنجو لإعادته في الحُكم، فأخذت فكرة توجيه حملة صليبية ضد القسطنطينية تختمر في الأذهان مرة أخرى، ولم يحل دون قيامها سوى موافقة ميخائيل على خضوع كنيسته للباباوية(٨٤)، وفى اختبار حقيقى لفكرة التحالف الثلاثى أرسل البابا كليمنت الرابع(٨٥) Clement IV (١٢٦٥– ١٢٦٨م.) خطاباً إلى الخان أبغا في عام ١٢٦٧م، يدعوه إلى الاشتراك في حملة صليبية، فكان ردّه إيجابياً، على أن تضم ملك فرنسا لويس التاسع وملك أراجون جيمس الأول وإمبراطور بيزنطة ميخائيل باليولوجوس، فضلاً عن أخيه أجاى القائد

المغولى في إقليم قيليقيا في آسيا الصغرى[٨٦]. بيد أنه لم يكتب لمشروع هذا التحالف النجاح[٨٧] لظروف ترجع بالدرجة الأولى إلى إنشغال أبغا في نزاعات مع أبناء عمومته المغول.

وفى المرحلة التالية حرص البابا جريجورى العاشر على إدخال بيزنطة إلى العقيدة الكاثوليكية، فدعا الإمبراطور إلى إرسال مندوب من قبله لحضور مجلس ليون الكنسى الثانى عام ١٢٧٤م، وفى حضور المندوب أصدر البابا – على هامش المؤتمر – قراراً بعقد السلام بين الملوك والأمراء المسيحيين في أوروبا لمدة ست سنوات، ومن لا يمتثل منهم، يوقع عليه قرار الحرمان، وعلى أرضه قرار القطع[٨٨]، وهذا يعنى معارضة الباباوية لمشروع شارل كونت أنجو لغزو القسطنطينية، ويعنى أيضاً أنها حريصة على مشاركة الحكام المسيحيين جميعاً في الحملة الصليبية المرتقبة، بمن فيهم ميخائيل باليولوجوس[٨٩]. وأمام عدم الانصياع تماماً لإعلان التبعية للكنيسة وإرضاءً لشارل كونت أنجو الذى كان يناصب ميخائيل العداء لتشككه في تحالفه مع المماليك[٩٠]، أنزل البابا مارتين الرابع[٩١] Martin IV (١٢٨١– ١٢٨٥م.) قرار الحرمان على الإمبراطور، فى نوفمبر ١٢٨١م. وأياً ما كان الأمر، فلم يكن قرار الحرمان يمس ميخائيل من قريب أو بعيد؛ لأنه تابع للكنيسة الشرقية، ولا يدين بالمذهب الكاثوليكى. إلا أن تأثير هذا القرار يكمن في حرمان حكام أوروبا وشعبها من التعامل مع الإمبراطور، مما يشجع شارل على مهاجمة بيزنطة[٩٢]، وما من شك في أن هذه الروح العدائية تحول دون ضم بيزنطة إلى المعسكر الأوروبى حال التحالف مع الغرب، على الرغم أن خانات فارس كانوا يضعون هذه الإمبراطورية في الحسبان في مخططاتهم ضد المماليك.

أما عن موقف بيزنطة من فكرة التحالف على عهد أرغون، فبالرغم من العلاقات الوطيدة بين البيتين الحاكمين في فارس وبيزنطة من خلال المصاهرات،فإن أندرونيكس الثانى لم يحظ إلا بتعريج سفارة رابان ساوما

عليه. ولعل إحجام السفير عن تدوين ما يساعد على فهم موقف الإمبراطور من التحالف، يوحى بأنه لم يحصل منه على شئ ذى بال، ولهذا ما يدعمه؛ إذ يذكر أن الامبراطور اتبع سياسة مخالفة لتلك التي اتبعها والده مع الباباوية، قامت على عدم الرضوخ لمطالب البابا بضم كنيسة القسطنطينية إلى كنيسة روما[٩٣] وتوحيد العالم المسيحى، مما جلب على الإمبراطورية مزيداً من العداء والتربص بها خاصة من قبل الباباوية وحليفها شارل كونت أنجو، الأمر الذى أدى إلى عزلها وتقليص دورها السياسى المتضائل أصلاً. ولما كان لكل معسكره، ففى ظل حكم أندرونيكس للقسطنطينية يصعب القيام بدور ما في التحالف فى وجود الباباوية، وهو ما يفسر عدم تدوين ساوما لموقف معين للإمبراطور فى أثناء زيارته له.

أما بالنسبة **للباباوية**، فقد عاصر البابا نيقولا الثالث Nicholas III (١٢٧٧-١٢٨٠م.)[٩٤] أواخر عهد الخان أبغا في حكم مغول فارس، ورداً من البابا على السفارة المغولية التي أرسلها الخان، أرسل عدد من الرهبان إلى فارس للتبشير بالكاثوليكية وتعميد أبغا نفسه[٩٥]، وكان هذا بمثابة الحل الذى ارتآه، بغرض إقامة التحالف على أساس من الوحدة الدينية. وعندما اختير البابا مارتين الرابع – بدعم من ملك بيت المقدس الاسمى شارل كونت أنجو بعد أشهر من شغور الكرسى الباباوى– فقد انشغل بقضية توحيد الكنيستين الشرقية والغربية، من خلال دعمه الكامل لمشروع شارل الصليبى لاستعادة الحكم اللاتينى الكاثوليكى للقسطنطينية، وبارك إقامة تحالف بين البندقية وصقلية التي من ممتلكات شارل دعماً لهذه الحملة في يوليو ١٢٨١م[٩٦].

وإذا كانت الفقرات السابقة قد تناولت جانباً من الأحداث والظروف التي أحاطت بفكرة التحالف الفارسى الأوروبى، وخاصة فيما يخص بيزنطة، فيجدر بنا الوقوف – في الصفحات التالية – على الظروف السياسية في

أوروبا، التي كان من شأنها التأثير – بشكل أو بآخر – على الفكرة ذاتها، و كانت أحوالها قد ازدادت سوءاً عندما وقعت الحادثة المعروفة في التاريخ باسم **المذبحة الصقلية**[٩٧] The Sicilian Vespers، في التاسع والعشرين من مارس عام ١٢٨٢م، وتتلخص في أن الباباوية كان لها دورٌ كبيرٌ في تعيين شارل كونت أنجو ملكاً على جزيرة صقلية ونابولى عام ١٢٦٦م، عقب وفاة حاكمها مانفرد Manfred (١٢٥٨– ١٢٦٦م.)، بغرض فصلهما عن الإمبراطورية الرومانية المقدسة في ألمانيا[٩٨] إلا أن شارل عامل أهل الجزيرة معاملة سيئة فراسلوا كونرادين Conradine دوق سوابيا Sawbia (١٢٥٢– ١٢٦٨م.) للقدوم إليهم وتولى أمر الجزيرة، بصفته الوريث الشرعى لها بعد وفاة عمه مانفرد، إلا أن شارل أسره وأعدمه في نابولى. ولما كان مانفرد قد زوج ابنته كونستانس Constance من بطرس الثالث Peter III ملك أراجون (١٢٣٩– ١٢٨٥م.) يكون الأخير بذلك صاحب الحق في عرش صقلية لا شارل، الذى ضم إليه – من خلال وضعه الجديد – عرش مملكة بيت المقدس الصليبية الاسمية[٩٩] (١٢٧٧– ١٢٨٥م.). وعليه أصبح شارل والبابا في جانب، وشعب صقلية وملك أراجون والإمبراطور البيزنطى المحروم من رحمة الكنيسة في جانب[١٠٠]. و وقعت القوى الأوروبية الدينية والعلمانية تحت تأثير تبعات هذه الأحداث، وهو أمر محورى في الدراسة؛ لأنها تشكل في مجملها الطرف الآخر في منظومة المفاوضات التي مرت بمراحل، من خلال رسل الخان أرغون طوال فترة حكمه.

كان الهدف من ثورة أهل صقلية عزل شارل وليستقر بطرس على عرش الجزيرة، وقد تمكن بالفعل من الاستحواذ على العرش مستنداً إلى أسطوله، الأمر الذى جعل البابا مارتين الرابع يصدر ضده قرار الحرمان وضد ثوار صقلية أيضاً فى مارس عام ١٢٨٣م. كما أعلن قرار القطع على مملكة أراجون، التي منحها إلى شارل أف فالوا Charles of Voloi الابن

الأصغر لفيليب الثالث، ولم يكتف بذلك وإنما أعلن حرباً صليبية ضد أراجون، ومنح الغفران التام لمن يشارك فيها، وطالب بحشد القوات لنصرة شارل كونت أنجو(١٠١). و قاد شارل أسطوله ونازل بطرس بعد فشل مساعى الصلح بينهما، وفى المعركة تحطم أسطول شارل وتم أسر ابنه شارل كونت ساليرنو Charles Count of Salerno(١٠٢) الذى عرف بشارل كونت أنجو الثانى، فنشط البابا في جمع الأموال التى جهز بها شارل كونت أنجو الحملة ضد بطرس(١٠٣).

والمتأمّل لهذه الأحداث المتلاحقة يلحظ مدى الجدية البالغة التي تعامل بها البابا مارتين الرابع مع التطورات، مؤازرة منه لحليفه شارل، إلى حد إشعال حرب صليبية ضد أراجون من أجل تأمين حملة صليبية أخرى تسترجع القدس، وخسر شارل والباباوية صقلية باعتبارها إقطاعاً باباوياً. كما تحطم أسطول شارل في العام التالى للثورة، وكان ذلك يعنى فقد الباباوية لمقومات أى حملة نحو الشرق ذات الموقع الاستراتيجى، عشية تولى أرغون للحكم. ولم يقتصر عجز الباباوية في هذا الإطار على السنوات الثلاث التي سبقت وفاة شارل كونت أنجو في السابع من يناير ١٢٨٥م، إنما تأثر دورها كذلك في السنوات التي أعقبت ذلك؛ إذ لم تجد الإمكانات أو القيادة التي تعوضها عن فقد إقطاعها في صقلية وحلفائها الأنجويين.

بيد أن التجهيز لحملة صليبية ضد أراجون أصيب في مقتل لوفاة شارل كونت أنجو أثناء إعداده أسطوله للحملة، كما توفى كل من البابا وبطرس في خريف العام ذاته(١٠٤)، وبالرغم من وفاة الأطراف الثلاثة الرئيسة المتورطة في النزاع، إلا أنه امتد ليرثه خلفاؤهم.

وبينما يجرى هذا الزخم من الأحداث الأوروبية المضادة لإرسال حملة صليبية إلى الشام، توالت الأخبار من الشرق بتولى أرغون حكم فارس، فنالت فكرة التحالف مع الغرب دفعة قوية، بما أبداه هذا الخان من حماسة

غير مسبوقة، دللت عليها – بدايةً – سفارته الأولى إلى الباباوية عام ١٢٨٥م، وهو العام الذى شهد انتقال عرش الباباوية من مارتين الرابع إلى هونوريوس الرابع، الذى تسلم من سلفه أعباء المسألة الصقلية؛ وفى هذا الصدد لابد من أن نذكر أن ثورة الصقليين قبل بضع سنوات لم تكن ضد التاج الفرنسى وحسب، وإنما كانت أيضاً ضد سلطة الباباوية، ودورها في تعيين ملكهم، ويدلل على ذلك قبول الثوار أن يتولى واحد من بيت أراجون الملكى حكمهم، وهو ما كانت ترفضه الباباوية[١٠٥]، الأمر الذى جعل منها طرفاً أساسياً ومباشراً في الصراع الدائر.

واتصف عهد هونوريوس الرابع الذى لم يمتد سوى عامين تقريباً (١٢٨٥– ١٢٨٧م.) بتراجع الاهتمام بالحملة الصليبية التي أعلنها جريجورى العاشر في مجمع ليون الثانى بغرض استرجاع القدس، كما أهدرت رؤوس الأموال، التي كان من شأنها تمويل تلك الحملة، و وجهت لتحقيق أهداف البابا السياسية، وتجهيز الحملة ضد أراجون بغرض إعادة صقلية للبيت الأنجوى، متبعاً سياسة سلفه مارتين الرابع في هذا الشأن، ومدفوعاً برغبة معظم الكرادلة الفرنسيين من حوله. وبعد وفاة شارل ومارتين الرابع وبطرس، لم يستثمر البابا الجديد الفرصة لفض المنازعات؛ إذ خلف ألفونسو الثالث Alfonso III أباه على عرش أراجون (١٢٨٥– ١٢٩١م.) في حين خلفه على عرش صقلية ابنه الأصغر جيمس الثانى[١٠٦] James II (١٢٨٥– ١٢٩٥م.) ومع ذلك لم يبطل البابا قرار الحرمان ضد ألفونسو، بل أصدر قراراً آخر بحرمان جيمس الثانى من رحمة الكنيسة؛ نظراً لأنه توّج نفسه في الثانى من فبراير ١٢٨٦ م ملكاً على صقلية، وبذلك رفض البابا اتفاقية برشلونة عام ١٢٨٧م، التي قبل فيها شارل كونت أنجو الثانى التنازل عن ملك صقلية في مقابل فك أسره، مما دفع الطرفين إلى الاحتكام إلى السلاح ثانية[١٠٧].

وفضلاً عن انشغال الباباوية بعرش صقلية على هذا النحو، كان هونوريوس الرابع طاعناً فى السن، غير قادر على دعم فكرة التحالف المقترح مع المغول. وقد يفسر هذا عدم وجود رد منه على رسالة الخان في سفارته الأولى عام ١٢٨٥م. بل إن هناك من الباحثين من يرى أن إدراك البابا لسوء المناخ السياسى وتردى العلاقات بين ملوك أوروبا بسبب الصراعات بينهم، جعله يوعز لسفراء الخان بالعودة دون مواصلة مهمتهم في الغرب الأوروبى ومقابلة ملوكه، حتى لا يتأثر الخان بذلك، ويتسرب اليأس إلى قلبه،فلا يساعد الصليبيين في الشرق. ولعله يتمكن من عمل شئ ضد المسلمين مدعوماً بقوى أخرى(١٠٨)؛ ومصداقاً لذلك شاهد سفير أرغون رابان ساوما فى أثناء مروره بنابولى في الرابع والعشرين من يونية عام ١٢٨٧م، قتالاً بين قوات جيمس الثانى ملك صقلية وقوات شارل كونت أنجو الثانى، وقدر عدد قتلى جيش شارل في هذه المعركة باثنى عشر ألف مقاتل(١٠٩)، الأمر الذى يؤكد على أن البابا هونوريوس الرابع اتبع سياسة متصلبة، أدت إلى تأجيج مزيد من الصراعات بين القوى الأوروبية، ممأدى إلى استنزاف الغرب الأوروبى لقواته في التناحر والمنازعات، ويفسر جانباً من عدم استجابته لدعوة التحالف مع الخان أرغون. أما سياسته الصليبية المقرونة بعقد التحالف مع المغول فقد اكتفى بإتباع نهج أسلافه من الباباوات الذى يقوم على ضرورة دخول أرغون في الديانة المسيحية حتى يتحد المعسكر المضاد للمماليك في الديانة.

ولم ينته الأمر عند هذا الحد؛ فبعد وفاة هونوريوس الرابع في أبريل ١٢٨٧م. وتولى نيقولا الرابع كرسى الباباوية آثر مواصلة نهج سلفيه في المسألة الصقلية، فساند شارل كونت أنجو الثانى ضد حكام أراجون، ونجح إدوارد الأول في التدخل مرة أخرى بين أطراف النزاع وفك أسر شارل(١١٠)، وظل البابا نيقولا الرابع طرفاً أساسياً في هذا النزاع طوال فترة باباويته على

أساس أن صقلية إقطاعية باباوية[١١١]، وهكذا تمزقت أوروبا إلى معسكرات متصارعة.

وبالرغم من أن نيقولا الرابع سار على نهج سابقيه في المسألة الصقلية، فإنه يمكن رصد بعض الاختلافات في سياسته تجاه المسألة الصليبية، ومن ثم قضية التحالف مع المغول، وبدا ذلك واضحاً في علاقته بملكى فرنسا وإنجلترا؛ إذ سعى إلى أن يجعل من الباباوية وسيطاً محورياً فى الاتصالات بين أرغون والملكين عندما استقبل سفارة أرغون الثالثة (١٢٨٩– ١٢٩٠م.) برئاسة بوسكاريللو قبل ذهابه إلى فيليب الرابع وإدوارد الأول، وحمّله خطابات إليهما، ثم استقبله ثانية عند عودته؛ ليقف على ما تم الاتفاق عليه مما يشير إلى اهتمام أكبر بهذه المسألة. وفى هذا الصدد تلاحظ إحدى الدراسات أنه في الوقت الذى أمعن فيه نيقولا الرابع في التدخل بين الملوك على هذا النحو، يحرص على الاستمرار في سياسة سابقه تجاه إدخال أرغون في المسيحية وأنه كان الهدف الرئيس من تلك الاتصالات[١١٢]، وربما بنت الدراسة رأيها هذا على أن البابا كانت تساوره الشكوك في سياسة الخان أرغون نحوالصليبيين، كما سبق له أن أبدى شكوكه في صدق النساطرة في هذا الشأن عند عودة سفارة رابان ساوما[١١٣].

ولم يُغفل أرغون الجانب الدينى تماماً؛ لأهميته في إقامة التحالف مع أوروبا، وهذا يتضح من موافقته على إرسال رابان ساوما –أحد أبناء الكنيسة النسطورية– ورفقائه، للتفاوض مع قادة أوروبا في هذا الشأن، ولعله أراد بذلك أن يعلن ولاء الكنيسة النسطورية للباباوية في روما إرضاءً لها، خاصة وأنه هدف سعت إليه الباباوية لعقود خلت. ومن ناحية أخرى، ليفهم قادة أوروبا مدى عمق العلاقة مع الخان الأعظم قوبيلاى، من منطلق أن السفير كان من كبار الكنيسة النسطورية في حاضرته كمباليك Cambaleck (بكين) ومما يعضد الشعور بضرورة إقامة التحالف، أن يتحدث سفير

مسيحى مع الغربيين عن حسن معاملة المغول لرعاياهم المسيحيين في الشرق الأقصى(١١٤). ويبدو أن أرغون نجح في تأجيج المشاعر الدينية لدى البابا إلى حد خرج به عن المطلوب، فبدلاً من مباركة التحالف العسكرى والسياسى بين ملوك أوروبا ومغول فارس وتدعيمه، حرر البابا نيقولا الرابع خطاباً للخان فى الثانى من أبريل عام ١٢٨٨م. . أى قبل رحيل ساوما من روما بأربعة أيام . يعلمه فيه بموافقته على تعميده فى القدس على المذهب الكاثوليكى(١١٥)، لكن أرغون خيب أمل الباباوية في هذا الجانب وأكد في خطابه المرسل إلى البابا فى الرابع عشر من مايو عام ١٢٩٠م، على أنه ليس في حاجة إلى اعتناق المسيحية، ولرعاياه الحق في اختيار الدين الذى يناسبهم(١١٦). ومن هذا وذاك، يتضح التباين بين فكرتى التحالف عند كل من الخان أرغون والبابا نيقولا الرابع، على الرغم من جدية كليهما فيما يتبناه من فكر، بيد أن الوسيلة التي يقوم عليها التحالف عندهما اختلفت؛ فبينما تعامل الخان بمقاييس السياسة والحرب، تعامل البابا بمعيار وحدة الدين تحت لواء باباوية روما.

وفيما يختص بموقف البابا من سفارة الخان أرغون برئاسة بوسكاريللو (١٢٨٩- ١٢٩٠م.)، فالملاحظ أنه حرص على تمريرها إلى الملكين فيليب الرابع وإدوارد الأول، بل دعّمها بخطابات تزكية تدل على اهتمامه؛ لأن أرغون أبلغ في رسائله تلك قادة الغرب بأنه عندما ينتزع بيت المقدس من المماليك سيسلمها إلى الباباوية(١١٧)، فأراد البابا . طالما أن الأمر يخص القدس . وضع الملكين موضع المسئولية، كما إنها فرصة كى يظهر زعامته على ملوك أوروبا؛ فبه بدأت السفارة وإليه انتهت. وكان على البابا أيضاً أن يتلقى رأى هذين الملكين لإعداد رده – الذى لم يصلنا – إلى الخان المغولى. ونظراً لعدم تضمن ردود الملكين إجابات مرضية –على نحو ما تقدم– فليس من المتوقع أن يأتى رد البابا على الخان بجديد، وربما اقتصر

كالمعتاد على مطالبة الخان بالدخول في الكاثوليكية، بالرغم من أن المقترحات التي حملها السفير من الخان أرغون كانت واضحة ومحددة، ومن بينها جدول زمني للحملة، التى سيبدؤها فى يناير ١٢٩١م، بدخول الشام، والشهر التالى جعله لحصار دمشق. وبالرغم من تحديد موعد زحف جيوش أرغون والفارق الزمنى الكافى –الذى يصل إلى عام كامل– بين وجود السفارة في الغرب وخروج الحملة المغولية المقترحة، فإن الباباوية ومن ورائها ملوك الغرب لم يكونوا قادرين على إنقاذ الصليبيين، ولم يغتنموا عرض الخان، ولم يتخذوا إجراءً عملياً يناسب هذا العرض.

ونلمس عجز الباباوية عن اتخاذ موقف ذى شأن يتناسب و مطالب أرغون، من نجاح البابا الهزيل في تجنيد جانب من أسطول البنادقة لنقل بضعة آلاف من المشاة الرعاع غير المدربين، الذين استأجرهم من شمالى إيطاليا، وسمح لهم البابا بحمل الصليب، والتوجه إلى الأرض المقدسة، بعد أن وضعهم تحت قيادة برنارد Bernard أسقف طرابلس وهم يعانون عجزاً في التسليح[١١٨]، الأمر الذى يؤكد على وجود قصور عام لدى حكام الغرب تجاه الحرب الصليبية. وبالرغم من الهرج الذى اكتنف خروج هذه القوة، كانت أفضل ما عند الباباوية لتقدمه للصليبيين، كرد فعل على سقوط طرابلس عام ١٢٨٩م. وحينما وصلت هذه القوة إلى عكا لم تقم بدور إيجابى لصالح الصليبيين، بينما استثارت غضب المماليك بحمق جنودها[١١٩]، وهكذا بدت الباباوية أقوى حليف للكيان الفرنجى في سنواته الأخيرة في الشرق، وأكثر الأطراف الأوروبية استجابة لمطالب أرغون بعقد التحالف،على الرغم مما اكتنف موقفها في هذا الصدد من عجز وتخاذل.

على ذلك اتُهم البابا نيقولا الرابع بإهماله للأرض المقدسة، وانشغاله منذ اليوم الأول لانتخابه بالصراعات حول عرش صقلية[١٢٠]، بل ذهب بعض الباحثين إلى اتهامه بأنه لم يكن متحمساً أصلاً لإرسال حملة صليبية للشرق، ومن ثم لم يكن حريصاً على التجهيز لها وتوفير الاعتمادات المالية

اللازمة لقيامها[١٢١]، وفى الواقع كان هذا البابا عاجزاً عن حشد قوى أوروبا للاستجابة لمطالب الخان أرغون بالتحالف معه لإنقاذ اللاتين في الشرق، شأنه شأن سابقيه، الذين حولوا موارد البابوية وجانباً من موارد ملوك غرب أوروبا إلى دعم أنصار البابوية في المسألة الصقلية،حتى قضوا على أى أمل فى خورج نجدات من هناك لإنقاذ الكيانات الصليبية، ودعم التحالف مع المغول[١٢٢]، كما كانت لهذا البابا رؤيته التي قد تتواءم مع طبيعة عمله، إذ كان يرى ضرورة تنصير المغول أولاً قبل التحالف معهم، بيد أن هذه الرؤية ثبت قصورها؛ إذ لم تكن في صالح صليبى الشام، الذين كانوا في أمس الحاجة لهذا التحالف، دونما انتظار. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى كان على هذا البابا أن يستوعب الدروس السابقة، التى مفادها أن رجال البابوية أصحاب المحاولات السابقة لتنصير حكام المغول كانوا يقدمون تقاريراً تفيد تنصير بعضهم من أمثال قوبيلاى[١٢٣]، الذى كانت أمه نسطورية المذهب[١٢٤]، وأنهم كانوا مبالغين فيما زعموا وكان علي البابا أن يتعامل بصورة عملية سريعة مع فكرة التحالف مع أرغون، خاصة وأنه وعد بأن يقبل التعميد في القدس، وهذا –في حد ذاته– يشكل إرضاء كافٍ للبابا، لا من الناحية الدينية وحسب، وإنما السياسية أيضاً.

وأخيراً عدّل نيقولا الرابع من سياسته تجاه فكرة التحالف مع أرغون، بعد أن تواترت على مسامعه في أغسطس ١٢٩١م، أخبار سقوط عكا، في الثامن عشر من مايو ١٢٩١م، على يدى الأشرف خليل، وتلتها سائر مدن الصليبيين وقلاعهم، مثل بيروت وصور وصيدا وجبيل وعتليت وطرسوس، بعد فرار سكانها إلى جزيرة قبرص دون منقذ[١٢٥]. وعندئذ أرسل في الثالث والعشرين من أغسطس إلى أرغون ليفيده بأنه زكّى طلبه في سفارته الرابعة التحالف مع الغرب، وأن الملك الإنجليزى تعهد بأنه سيلتزم بالموعد الذى حدده بالرابع والعشرين من يونيو ١٢٩٣م. للخروج بالحملة الصليبية،

موضحاً له أن تأخره النسبى يرجع إلى حاجة الملك إلى الأموال اللازمة للإنفاق على الحملة[١٢٦]، في حين أرسل إلى فيليب الرابع وأساقفة فرنسا يناشدهم أن يرسلوا البارونات والفرسان بل وعامة الشعب للانخراط في صفوف حملةٍ صليبيّة، إلا أنّهم لم يستجيبوا لمطالبه ودامت الصراعات بين ملوك الغرب كما دام انشقاق بيزنطة. [١٢٧]. ومن هذا يمكن إدراك كيف تغيّرخطاب البابا مع المغول من الخطاب الدينى إلى الخطاب السياسى والعسكري، وكانت هذه هي المرة الوحيدة التي ردت فيها البابوية على مقترحات أرغون من خلال سفاراته الأربعة، لكن هيهات؛ فقد كان المماليك قد أجهزوا على ما كان البابا يسعى إلى التحالف من أجل الإبقاء عليه.

وإذا ما انتقلنا لدراسة **موقف فرنسا** من التحالف مع أرغون، تبيّنا أنه أمر يضرب بجذوره لعقود خلت، منذ تواصلت السفارات بين الملك لويس التاسع ومغول فارس، إبان حملاته على الشرق العربى في مصر والشام ١٢٤٩– ١٢٥٣م. وعلى تونس عام ١٢٧٠ تلك الحملات التي تركت آثارها النفسية والسياسية والاقتصادية السيئة على الدولة[١٢٨]، وفى عصر فيليب الثالث تدخلت الباباوية لتوجه فرنسا مرة أخرى قبل الأرض المقدسة، بأن سعى البابا جريجورى العاشر إلى توحيد التاج ليحكم شارل كونت أنجو كلاً من عكا وصقلية ونابولى، دعماً للأرض المقدسة، وإعادة لدور فرنسا الرائد في القضية الصليبية، وحاول البابا استخدام فكرة نقل المقر الباباوى إلى فرنسا لتجسيد هذا الدور[١٢٩] إلا أنه حينما أرسل أبغا بسفارته إلى ملك فرنسا عام ١٢٨١م، اكتفى باستقبالهم وإبداء الحفاوة بهم، والاستماع إليهم، و وداعهم[١٣٠]. ولعل عزوف فرنسا عن إتمام التحالف مع المغول في هذه المرحلة، يرجع إلى انشغالها بنزاعاتها المستمرة مع إنجلترا حول المقاطعات الفرنسية الخاضعة للتاج الإنجليزى[١٣١]، انطلاقاً من أن ملوك أوروبا في أواخر العصور الوسطى كانوا يتجهون اتجاهاً محلياً، ويرفضون فكرة الخضوع لسلطة إمبراطورية عليا.

وفى أعقاب المذبحة الصقلية واصل شارل كونت أنجو السعى لقيادة حملة صليبية، مدفوعاً من الباباوية التي أخذت تجمع ضريبة العشور من فرنسا لتقديمها له، و واصل مارتن الرابع دعم شارل بالأموال،لا للاستيلاء على القدس، وإنما للعمل ضد بطرس ملك أراجون وصقلية، وسعت مرة أخرى لدى فيليب الثالث الذى حصل الأموال بدوره لتأجير المقاتلين والسفن اللازمة للحملة ضد أراجون، التي تقرر قيامها عام ١٢٨٥م(١٣٢). وهكذا لم يكن يهم الملك الفرنسى فيليب الثالث من أمر الصليبيين شيئ إلا بالقدر الذى يحفظ علاقته بالباباوية.

أما عن موقف فرنسا من فكرة التحالف مع أرغون على عهد ملكها فيليب الرابع، فقد كانت هناك ثلاث قضايا من شأنها أن تشغل بال الملك الفرنسى في آن واحد، هى: تدبير الأموال اللازمة للقيام بحملة صليبية إلى الشرق، عوضاً عن تلك التى لم يوفق فيها شارل كونت أنجو، ثم وفاته في العام ذاته الذى تولى فيه فيليب، دون الوفاء بوعده في هذا الصدد. كما كان على ملك فرنسا الاستمرار في دعم قضية الأنجويين في صقلية، و التصدى لسياسة مملكة أراجون المعادية. إلا أن فيليب لم يحرك ساكناً حيال أى من هذه القضايا(١٣٣). فمن ناحية، لم يكن صادقاً كجدّه القديس لويس التاسع في روحه الصليبية(١٣٤)، ومن ناحيةٍ أخرى كانت السياسة الخارجية لهذا الملك الطموح ترمى إلى توحيد فرنسا جغرافياً(١٣٥)، ومعنى ذلك طرد الإنجليز من الأراضى التي يسيطرون عليها، وتحقيق زعامة فرنسا على مجمل أوروبا، وهذا الاتجاه من شأنه أن يؤدى إلى الصدام مرة أخرى مع إنجلترا.

وحينما قدمت سفارة رابان ساوما ١٢٨٨م، لمقابلة الملك الفرنسى عارضةً التحالف، وعد الملك أفرادها بالقدوم على رأس حملة صليبية، ولم يف بوعده، وتظاهر بالجديةفأرسل سفارة من طرفه صاحبت ساوما إلى الخان أرغون فى أثناء عودته للوقوف على تفاصيل التحالف، إلا أنها كانت

مكبلة؛ ليست لها صلاحيات واسعة في اتخاذ أى قرار بشأن التحالف، واكتفت بالتأكيد على وعود فيليب الرابع بقيادة حملة صليبية. ومرة أخرى حملت سفارة بوسكاريللو مقترحات أرغون إلى الملك الفرنسى، مشفوعة بتوصيات البابا في أكتوبر ١٢٨٩م. وكانت مفعمة بجدية الخان المغولى في اتخاذ موقف من المماليك، وتضمنت المقترحات تفاصيل لها أهميتها، تشمل زمان التحركات ومكان العمليات الحربية بدمشق، بل وحددت بدقة القوى المحلية المتحالفة المشاركة: ملكى جورجيا و أرمينيا الصغرى، والدعم اللوجستى الذى سيقدمه الخان لجيوش أوروبا حال قدومها إلى الشرق. إلا أن واقع الأمر يثبت أن هذا الملك لم يكترث كثيراً بدعاوى أرغون أو البابا، التي كانت بمثابة فرصة ذهبية للخلاص من المماليك العدو المشترك. ويرجع أحد الباحثين هذا الموقف السلبى من ملك فرنسا إلى تشككه في صدق أرغون، وفى تقديمه كل هذا الدعم، خاصة في حال سقوط القدس في أيدى المغول؛ فمن الصعب أن يسلمها أرغون إلى الباباوية بعدما ما سيتكبده من عناء في إسقاطها(١٣٦)، ومع أن هذه الإشارة لم تستند إلى أدلة مصدرية، لكن تبقى عبارات الباحث منطقية ومقبولة.

على كلٍّ، دلل فيليب الرابع على تشككه في صدق الخان أرغون فى التحالف، بإرسال خطاب إلى البابا نيقولا الرابع في التاسع من ديسمبر ١٢٩٠م، يطلب منه إعفاءه من الذهاب للأراضى المقدسة(١٣٧)، متذرعاً بأن كل ما كان يجمعه من أموال لهذا الهدف المقدس قد حصدته الفدية التي دفعها لإطلاق سراح شارل كونت أنجو الثانى من الأسر(١٣٨)، ويشير طرده في العام التالى لرجال المال والصيارفة اللمبارديين الإيطاليين ومصادرة ممتلكاتهم(١٣٩) إلى حاجته الملحة للمال، وأن هناك من المشكلات الداخلية ما يمنعه من الاستجابة لمطالب البابا بالتحالف مع أرغون، فضلاً عن أنه كان رافضاً لمبدأ تدخل رجال الدين في الشئون الدنيوية فى البلاد، حتى إنه أجبر رجال الدين في بلاده على دفع الضرائب(١٤٠)، ويجدر التنويه هنا إلى

أن تاريخ تحرير الخطاب إلى البابا كان في شهر ديسمبر، أى قبل الموعد الذى حدده أرغون لوصول قواته إلى الشام بشهر واحد، الأمر الذى يشير إلى تنصل الملك الفرنسى من مسئولياته ووعوده، لا حيال خان فارس المغولى وحسب، وإنما أمام البابا والقضية برمتها.

أما عن أحوال **الكيان اللاتينى** في الشرق . وهو الابن الشرعى لدولة فرنسا . فقد أحدثت هزيمة المغول في عين جالوت ١٢٦٠م، تغييراً واضح المعالم في مجمل أحوال الشرق الأدنى الإسلامى؛ إذ أخذت دولة المماليك تتنامى عسكرياً وسياسياً، وأخذت تفرض سياستها فرضاً على المغول والقوى المتحالفة معهم. وما لبثت الاستغاثات الصليبية بحكام الغرب أن تلاحقت لتعكس قدر العجز الصليبى في مواجهة المماليك[١٤١]، ويلاحظ أنه خلال عهدى هولاكو وابنه أبغا تراجع صليبيو الساحل الفلسطينى عن سياسة التحالف مع المغول إلى الالتزام بالحياد[١٤٢] كما حدث في معركة حمص بين المماليك والمغول فى أواخر عهد أبغا، وما لبث الكيان الصليبى أن شهد على عهد أرغون مزيداً من العوامل التي أدت إلى ضعفه؛ إذ تولى شارل كونت أنجو عرش مملكة بيت المقدس اسمياً حتى وفاته فجَرّها إلى دائرة صراعاته في البحر المتوسط. وفى الداخل نازعه على العرش يوحنا الأول John I (١٢٨٤– ١٢٨٥م.) ابن ملك قبرص هيو الثالث Hugh III (١٢٨٥– ١٣٢٤م.) ثم أخوه هنرى الثانى Henry II (١٢٨٥– ١٢٩١م.). وإبان ذلك أسقط المنصور قلاوون حصن المرقب الصليبى في مايو ١٢٨٥م[١٤٣]. دون أن يجد له نصيراً الضعف الصليبى وهو الحدث الذى استغله الخان أرغون لإقناع ملوك أوروبا بضرورة التحالف معه ضد المماليك. وهذا كله يصب في معنى واحد ألا وهو أن الكيانات الصليبية المتبقية في الشام لم يكن لها حول ولا قوة، وأنها عكست في سنواتها الأخيرة واقع التشرذم الأوروبى.

وأخيراً وفيما يخص أصداء **فكرة التحالف مع إنجلترا** على عهد أرغون، فقد عاصر هذا الخان جانباً من فترة حكم الملك إدوارد الأول لإنجلترا. وهناك من الدواعى ما يكفى لجعل من هذا الملك شخصية أساسية، من شأنها تقرير مصير إقامة هذا التحالف من عدمه إذ أنه فى أثناء ولايته للعهد عزم غير مرة عزماً صادقاً على محاربة المسلمين و شرع في الانضمام إلى لويس التاسع في حملته على تونس نوفمبر ١٢٧٠م. ولما آلت إلى الفشل(١٤٤)، قاد أسطوله متوجهاً إلى الشام في حملة صليبية قوامها حوالى ألف فارس فى مايو ١٢٧١م. ومن ثم كان متحمساً للدخول في تحالف مع المغول بغرض استرداد القدس(١٤٥)، وبالرغم من أن دور الأمير الإنجليزى يعد ضئيلاً في تاريخ الحركة الصليبية إلا أن هذا الدور يشكل حلقة مهمة بالنسبة لحياته كملك إذ ذاع صيته بسببها باعتباره المقدام الذى حمل الصليب حتى وهو مجرد أمير ولذا ظل أمل القدوم على رأس حملة بمثابة الأمنية طوال حياته(١٤٦). هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى اقترنت هذه الحملة بقضية التحالف مع المغول حيث أرسل بثلاثة مبعوثين إلى الخان أبغا يطالبه بإرسال جيوشه بناءً على وعد سبق وأن قطعه. ونظراً لانشغال أبغا بتأمين بلاده داخلياً أبلغ الأمير الإنجليزى أنه بإمكانه التنسيق مع أحد قادته في آسيا الصغرى لغزو الشام، وتقدمت قوت القائد المغولى التي بلغت عشرة آلاف فارس واستولت على حلب وشقت طريقها صوب عكا إلا أنها تراجعت إلى العراق بمجرد ظهور قوات الظاهر بيبرس في فلسطين. في حين اقتصرت جهود قوات إدوارد على شن غارة على قرية البُعنة بالقرب من عكا(١٤٧).

ظلت فكرة التحالف بين فارس وإنجلترا مختمرة في الأذهان، وعبر أبغا عن حرصه على إتمامه(١٤٨) حينما أرسل في مارس ١٢٧٧م. بسفارة لإدوارد (بعد أن غدا ملكاً) ليعتذر له عن عدم اكتمال دوره في التحالف الذى كان له أن يتم أثناء تواجده في الشام منذ ست سنوات ويطالب بإقامة

تحالف جديد ضد المماليك وأتبع الخان هذه السفارة بأخرى إلى إدوارد أيضاً عام ١٢٨٠م. بغرض توثيق العلاقات[١٤٩]. و في المقابل ظل الملك الانجليزى يتتبع أخبار الشرق اللاتينى والمغول لحين العودة.[١٥٠] كما سبق له أن تعامل مع خانات فارس من خلال سفارات متبادلة في السبعينات والثمانينات وكان من شأن نجاح محاولات التحالف خلال هذه الفترة تكوين حلف قوى بمثابة الأمل الأخير في إنقاذ الأراضى المقدسة. إذ كانت الفكرة في تلك الآونة قابلة للتنفيذ نظراً لأن الإسلام لم ينر قلوب حكام المغول بعد كما أن عنصر التواجد النسطورى داخل البلاط المغولى كان مؤثراً، ولعل في اختيار رابان ساوما رئيساً لوفد السفارة المغولية إلى الغرب الأوروبى – وهو الشخصية الثانية في الكنيسة النسطورية . الدليل على قوة تواجد هذا العنصر. كذلك كانت رغبة المغول في إيجاد حليف لهم للقضاء على المماليك جادة لما تعرضوا له من هزائم وضرب للمصالح على يد المسلمين. وبرغم توافر هذه الدوافع لإقامة التحالف في ذلك الوقت إلا أن استجابة إدوارد الأول لعرض أرغون من خلال سفارة رابان ساوما إلى جاسكونى كانت ظاهرية إذ إنه كان غير آمل في التحالف مع المغول ولا في قيام حملة صليبية جديدة ضد المماليك. فضلاً عما جد من أحداث شغلته عن التحالف والقضية الصليبية.

لقد ازدحمت الساحة الإنجليزية بالأحداث وتفاقمت المشاكل الداخلية حيث كان الملك الإنجليزى إدوارد الأول حريصاً على جعل مملكته دولة قوية بتوحيد إنجلترا وويلز Wales واسكتلندا Scotland[١٥١]، ذلك أن إنجلترا كانت قد دخلت في صراع مع ويلز منذ ما يزيد عن قرنين من الزمان، بغرض ضمها، إلا أن حكامها المحليين حملوا لقب أمير ويلز، مكتفين بإقامة علاقة طيبة مع إنجلترا، وفى عام ١٢٨٢م. حاول الملك إدوارد غزو ويلز، ونجح بعد عامين في ضمها إلى إنجلترا[١٥٢]. أما إسكتلندا

فقد شهدت أحداثاً متشابكة نظراً لوفاة ملكها الكسندر الثالث Alexander III (١٢٤٩– ١٢٨٦م.) الذى تزوج من مارجريت Margaret شقيقة إدوارد ونظراً لوفاتها هي وابنيها أصبح لا وريث للعرش سوى أختهما مارجريت التي تزوجت من إريك مجنسون Erik Magnusson (١٢٨٠– ١٢٩٩م.) وما لبث أن توفيت بعد أن أنجبت منه مارجريت ثالثة وسرعان ما توفيت هي أيضاً في سن السابعة وهى في الطريق لاستلام العرش فتفجر الصراع بين الملكين الإنجليزى والنرويجى على إسكتلندا(١٥٣)، وواكب هذه الأحداث عدة أحداث داخلية مهمة حيث اهتم الملك بوضع تشريعات كان لها مكانة عظيمة في تاريخ إنجلترا حيث نظمت الحياة النيابية والقضائية والمالية والعلاقة بالكنيسة والنشاط التجارى(١٥٤)، كما مرت المملكة باختناقات مالية غير مرة ولدعم الباباوية لموقفها خصصت لها جمع ضريبة العشور من صيرافة إيطاليا وتجارها إلا أنهم آثروا في عام ١٢٩٠– ١٢٩١ استخدامها في دورة رأس المال(١٥٥).

وفى غمرة هذه الانشغالات دلل الخان أرغون من خلال سفارته الثالثة على شديد إيمانه بضرورة إقامة التحالف مع الغرب فتعامل معها إدوارد الأول بدبلوماسية شديدة، حيث استقبل بوسكاريللو بحفاوة وأعلن رغبته في التحالف مع أرغون من أجل الصليبيين بيد أنه ربط بالحصول على إذن من البابا الذى يدرك الأحوال السياسية في أوروبا(١٥٦)، وذلك في محاولة منه لكسب مزيد من الوقت لتأجيل الحملة الصليبية، وإلى أن يتم ذلك فهو حريص على إقامة علاقات جيدة بالمغول. ويبدو أن هذا الموقف الدبلوماسى جعل أمر التحالف معه أمراً وارداً لدى الخان ولذا أتت السفارة المغولية الرابعة التي تضم أندرو وسبادين إلى البلاط الإنجليزى في يناير ١٢٩١م. مدعومة بخطابات من البابا.

وقد حاول إدوارد الأول أن يصدق القول مع البابا نيقولا الرابع ومع الخان أرغون بالاستعداد للخروج بحملة صليبية فجهز سفارة حصل على

تكلفتها من الباباوية ووضعها تحت قيادة جيوفرى دى لانجلى Geoffrey de Langly الذى حرص على اصطحاب عدد من المترجمين معه والتزود بالهدايا التي كان أرغون قد طلبها من الملك وهى عبارة عن عدد من صقور الصيد(١٥٧). كما أرسل في يونيو عام ١٢٩١م. إلى ملك المجر أندريا الثالث Andras III (١٢٩٠- ١٣٠١م.) وملك النرويج إريك مجنسون بخطاب لكل منهما يحملان المعنى ذاته يقر فيهما بعزمه على قيادة حملة صليبية. وعندما وصلت السفارة فارس علمت بوفاة أرغون وتولى أخوه جايخاتو Gaikhatu من بعده (١٢٩١- ١٢٩٤م.) العرش وهو أمر اعتبره الرحالة ماركوبولو Marco Polo حينما عرج على فارس في رحلة العودة أمراً غير شرعى(١٥٨). ونظراً لعدم استقرار الخان الجديد في مكان بعينه صعب على جيوفرى الالتقاء به وحينئذ عاودت السفارة أدراجها بخفى حنين في عام ١٢٩٢م. ومن ثم تم القضاء على الآمال المعقودة على الجهود الدبلوماسية من أجل الإعداد لقيام حملة صليبية(١٥٩). وعليه نلحظ مدى الاختلاف الذى طرأ على فكرة التحالف عند أرغون وخليفته جايخاتو الذى لم يهتم بمجرد استقبال السفارة الإنجليزية التي ربما شغلته عنها أحوال فارس المضمحلة بعد وفاة أرغون. وهكذا طويت صفحة التحالفات في هذه المرحلة، أما وقد ظلت الفكرة في أذهان خلفاء أرغون فيما بعد فقد كانت تعوذها الجدية والواقعية من الطرف الأوروبى إذ أن المعادلة اختلفت إلى حد كبير بعد فقدان قاعدة اللاتين في الشرق بالقضاء على الكيان الصليبى في الشام.

الخاتمة

هكذا هدفت هذه الدراسة إلى إبراز فكرة التحالف العسكرى عند الخان المغولى أرغون ومدى استجابة القوى الغربية لها، وفى واقع الأمر لم تأت هذه الفكرة من فراغ إنما كانت لها أطوارها؛ إذ بدأت فكرة باباوية تبناها أكثر من بابا فترة ما قبل معركة عين جالوت ١٢٦٠م. الفارقة، ثم تبناها المغول على عهدى هولاكو وابنه أبغا ومن ثم ظلت الفكرة قائمة برغم اختلاف المواقع. ولايمكن إغفال تأثير إعتقاد الأوروبيين في أسطورة الكاهن يوحنا في سعيهم الدءوب في الإفادة من إمكانات الشرق العسكرية بالتحالف دعما للقضية الصليبية.

وقد وضعت الدراسة نصب عينيها تتبع موقف القوى السياسية في أوروبا من فكرة التحالف عند أرغون، وبينت النتائج أن الإمبراطورية البيزنطية التي شغلت اهتمام أرغون بحكم الصلات الدينية والقرابة لم تكن عند حسن ظنه عندما ثبت له من خلال سفارة رابان ساوما١٢٨٧–١٢٨٨م

أنها أضعف من أن تسد له احتياجاته. وذلك ليس لأسباب تخصها بالدرجة الأولى وإنما لمواقف الغرب الأوروبى المضادة لها خاصة بعد تبنى إمبراطورها أندرونيكس الثانى سياسة عدم الرضوخ للكنيسة الغربية. أما بالنسبة للقوى الرئيسة في الغرب الأوروبى فقد اهتمت الدراسة بإيجاد الأسس التي ارتكزت عليها مواقف كل واحدة من هذه القوى، الدينية منها والعلمانية، فق كان من شأن المحاولات التى جاءت منفذة لقرارات مجمع ليون الكنسى الثانى ١٢٧٤م أن تعكس احتياجات الطرفين المغولى والاوروبى الملحة لعقد التحلف العسكرى فيما بينهما، وهو أمر لم يتم. وخلصت الدراسة في هذا الاتجاه إلى أن المذبحة الصقلية ١٢٨٠م. قد أثرت بعمق في سياسات دول الغرب الأوروبى وزعزعت الثقة فيما بينها بل أشعلت نار الحرب الصليبية ليست لاستعادة القدس وإنما لمحاربة أراجون لاسترجاع عرش صقلية بغرض التفرغ لإنفاذ حملة تحارب المماليك. وبدا كل من البابا مارتين الرابع والبابا نيقولا الرابع طرف أساسى في الصراع الدائر مما شغل الغرب عن القضية الصليبية وعن التحالف مع المغول. وفى إطار ذلك التتبع عنيت الدراسة بتفنيد الملابسات والظروف التي أحاطت بكل قوة على حدة في الغرب الأوروبى بهدف إبراز التفاصيل الدقيقة الخاصة بمدى استجابة هذه القوى لفكرة التحالف. وتم التوصل إلى أن جميع القوى المذكورة لم تكن على مستوى الجدية والمسئولية لحماية الصليبيين في الشام من خلال التحالف مع المغول، إلا أن إنجلترا أثبتت أنها أكثر هذه القوى اهتماماً بالقضية الصليبية ولو ظاهريا إبان فترة الدراسة المواكبة لعهد الخان أرغون.

وبناء على ما سبق فبرغم الاهتمام الكبير الذى أبداه الخان أرغون تجاه إقامة تحالف عسكرى مغولى أوروبى هدفه كسر قوة المماليك التي ضجت مضاجع المغول والصليبيين على حد سواء، قبيل توليه الإيلخانية

وأثنائها إلا أن أفكاره في هذا الصدد ذهبت هباء منثوراً وشهد عام ١٢٩١م. فشل هذه المحاولات عملياً لأسباب عدة؛ أولها أن الخان أرغون الذى عرف بشدة كراهيته للمسلمين وحبه للمسيحيين – امتدادا لما اتصفت به اتصالات جده هولاكو وأبيه أبغا بالغرب الأوروبى – ومن ثم كان أشد القادة حرصاً على إتمام التحالف، توفى في مارس من هذا العام. وثانيها أن ملكى فرنسا وإنجلترا المعاصرين انشغلا بأمورهما الخاصة والمشاكل التي عمت أوروبا عقب المذبحة الصقلية في ١٢٨٢م. وثالثها أن الباباوية عجزت عن أن تمارس دورها السابق عندما تبنت الفكرة الصليبية منذ البداية وأخذ ترعى الكيان اللاتينى طوال القرنين السابقين من خلال ثقلها الدينى عند الملوك والأمراء العلمانيين فضلاً عن انجرافها طرفاً في توابع المذبحة الصقلية، كما اتبعت فى قضية التحالف سياسة التبشير بين المغول بالكاثوليكية الأمر الذى أثر سلبيا على فكرة التحالف عند أرغون حيث اضطر الى الجنوح الى الدعائية بالتعميد فى القدس مما أثار شكوك ملوك الغرب حول دوافعه الحقيقية فى التحالف، ورابعها أن القوات الأوروبية الرئيسية عجزت عن تدبير الأموال اللازمة لإنفاذ حملة بالتحالف مع المغول في حين تمكنوا من تدبيرها فقط لمحاربة بعضهم البعض، وخامسها ما آل إليه الكيان الصليبى لمزيد من الضعف دلل عليه سقوط المرقب ١٢٨٥ وطرابلس ١٢٨٩ ثم عكا ١٢٩١ مما جعل منه عالة على من يتحالف معه. الأمر الذى جعل الصليبيين في أمس الحاجة للدعم الأوروبى الآخذ في الانحسار، وسادسها وهو الأهم أن المماليك شكلوا في تلك الآونة قوة ذات بأس في ظل حكم الظاهر بيبرس والمنصور قلاوون والأشرف خليل الذين كانوا على درجة عالية من الحس السياسى والعسكرى فقاوموا قيام الحلف المغولى الأوروبى، بأن ضيقوا الخناق على الكيان الصليبى في الشام وتربصوا بالمغول وهزموهم في عدة مواقع وأتقنوا استخدام الدبلوماسية لإيجاد نوع من توازن

القوى في منطقة الشرق الأدنى الإسلامى وانتهى الأمر بأن أعلن الأشرف خليل الجهاد ضد مغول فارس بعد أن فرغ من جهاد الصليبيين .

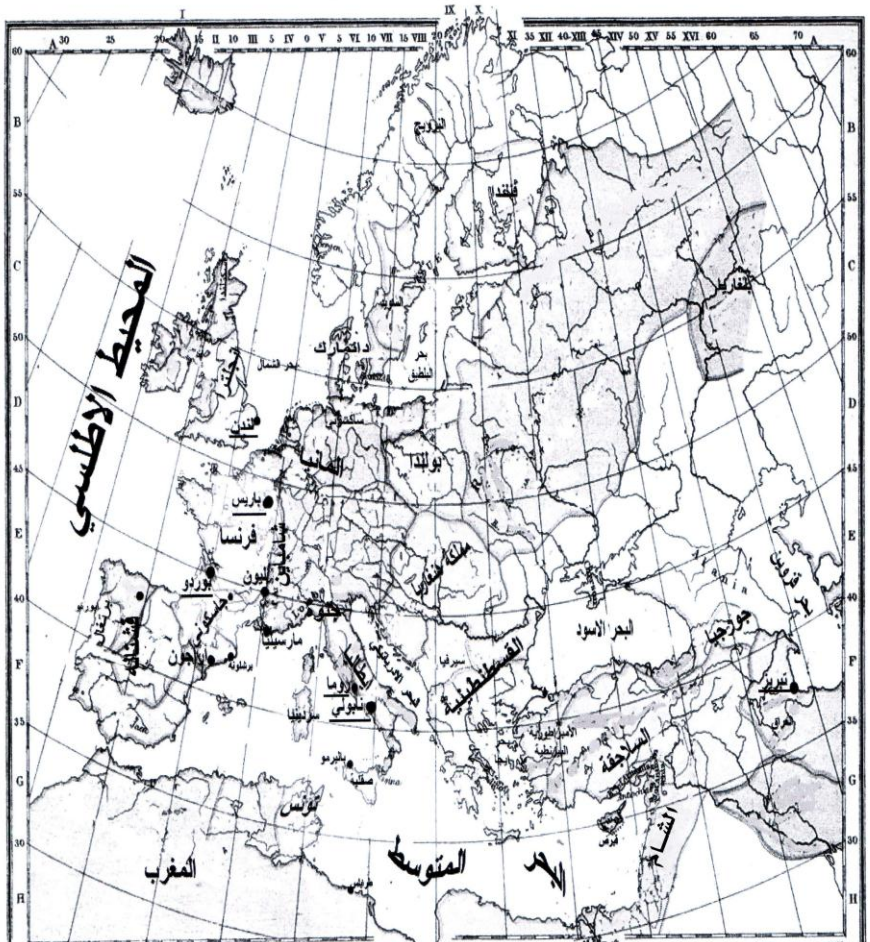

خريطة تتضمن البلاد التي توجهت إليها سفارات أرغون بغرض التحالف مع أوروبا

الهوامش

(1) D. Sinor, "The Mongols in the West", in: JAH, vol. 33, no. 1, (1999), p. 50

(٢) ينتسب معتنقوا عقيدة البوذية إلى الزعيم الدينى بوذا Budha المتوفى عام ٤٧٠ ق.م وتتلخص في أن الألم جزئي لا يتجزأ من طبيعة الحياة وتكوينها، وأن الإنسان يستطيع الخلاص منه بالتطهير الذاتى في الناحيتين الأخلاقية والعقلية، وتنشر هذه العقيدة في أجزاء كبيرة بشرقى آسيا ومنها بعض أقاليم الصين قاعدة المغول الأولى رغم ظهورها أول الأمر في الهند. راجع:

T. Ralph, The Great Cultural Traditions, the Foundations of Civilization, The Classical Empires, (2 vols.), (New York, 1949), I, pp. 378- 403.

(٣) اسمه يعنى الحَبْر الصائم عاش بين عامى ١٢٢٥ و ١٢٩٣، ولد في مدينة كمباليك (بكين) في الصين وكان نسطورياً Nestorian شغوفاً بالعلوم خاصة الكنسية منها. وتم ترسيمه راهباً فحرص على الحج للقدس وبعد عودته تم تعيينه في عام ١٢٨٠م. زائراً متجولاً لكل الكنائس النسطورية في آسيا، واختاره أرغون بناءً على توصية بطريق النساطرة ليكون سفيره لأوروبا عام ١٢٨٧م. ولمعرفة المزيد راجع:

N. Mclean, "An Eastern Embassy to Europe1287-1288", HER,vol.XIV (London, 1899), pp. 301, 302.

(4) Rabban Sawma, The Monks of Kublai Khan.. or the History of the life and travels of Rabban Sawma, trans. by: Wallis Budge, (London: Religion Tract Society, 1928).

(5) M. Abel-Rémusat, "Relations Diplomatiques de Princes Chrétiens avec les Rois de Perse de La race de Tchinggis, depuis Houlagou, jusqu'au régne d'Abousaïd", en: HMIRF, tome VII, (Paris, 1822), (pp. 334- 438).

(6) J. B. Chabot, "Notes sur les Relations du roi Argun avec L'Occident", ROL, II, (Paris, 1894), pp. 566- 644.

(7) A. C. Moule, Christians in China Before the Year 1550. (London, 1930).

(٨) و سوف يشير الباحث إلى هذه الدراسات كل فى موضعه.

(9) N. Mclean, op. cit., p. 301.

(10) P. Alphandery, A. Michel, La Chrétiente et L'ideé de Croisade, (Paris, 1959), p. 210

اعتبر الصليبيون غزو زعيم قبائل القراخطاى جورخان Ghorkan لمدن إسلامية مثل بخارى وسمرقند في منتصف القرن الثانى عشر الميلادى نصراً لهم، حيث تصوروا جورخان وقد تحول إلى أمير مسيحى عظيم اسمه الكاهن يوحنا وما لبثت أن انتشرت الأساطير حول هذه الشخصية أو من يخلفها، ومع هزيمة الصليبيين

فـي الرهـا عـام ١١٤٤م.، ثـم هزيمـة مملكـة كاثـاى علـى يـد السـلاجقة تراجعـت الأسطورة مرحلياً، ومع حاجة الصليبيين إليها سيطرت على أذهانهم مرة أخرى في الحملة الخامسة (١٢١٨– ١٢٢١م.) وظلت أمل الصليبيين حتى أواخر العصور الوسطى. راجع:

John of Monte Corvino, The Second letter to brother Peregrine and Andrew of Perugia, Given in 8th Jan 1305 A. D., in: C. Dawson, The Mongol Mission Narratives and letters of the Franciscan Missionaries in Mongolia and China in the Thirteenth and Fourteenth Centuries, (New York: Sheed and Ward, 1955), p. 225; "Christians in China under the Mongol Empire, Item: King George", in Christians in China Before the Year 1550, ed. by: A. C. Moule, pp. 236- 237.

(11) S. Runciman, A History of Crusades, 3 vols., (Cambridge, 1951), III, pp. 320, 331- 332

(12) "Un Episodio delle relazioni tra la Santa Sende ei Mongoli (1274)" ed. by: G. Borghezio in: Rome, (vol. 4), 1936, p. 370

نشر هذا الباحث ذلك التقرير بلغته اللاتينية ويمكن مراجعته مترجماً إلى العربية عند: عادل إسماعيل هلال، العلاقات بين المغول وأوروبا وأثرها على العالم الإسلامى، (القاهرة: عين للدراسات، ١٩٩٧م) ، الملحق رقم (٢)، ص ٢٧٧– ٢٨٨.

(13) J. A. Boyle: "The 11th. Khans of Persia and the Christian West" in: History Today, XXXIII, 8, 1973, p. 556

(14) H. H. Howorth, History of the Mongols: from the 9th to the 19th Century, 3 vols. (London 1888), III, p. 210

(١٥) اتسمت حياته بالازدواجية، حمل لقب الإمبراطور مع بداية عام ١٢٥٩م. وتم تتويجه بعد عامين ونصف عام في القسطنطينية بعد التخلص من الحكم اللاتينى، فأسس أسرة باليولوجس الحاكمة في بيزنطة، حتى فتحها العثمانيون عام ١٤٥٣م. ناصبته الباباوية والبنادقة بصفة خاصة العداء بسبب مطالبة آخر أباطرة اللاتين

بلدوين الثانى Baldwin II استعادة العرش، إلا أن ميخائيل كان دبلوماسياً نجح في امتصاص غضب العرب وإقامة علاقات دبلوماسية مع عدد من الدول بالمصاهرات. ولمعرفة المزيد راجع: اسحق عبيد، الدولة البيزنطية في عصر باليولوغوس (١٢٦١- ١٢٨٢)، (بيروت: دار الكتب، د- ت) ص ١١٣-١١٥؛ دونالد نيكول، معجم التراجم البيزنطية، ترجمة وتعليق: حسن حبشى، (القاهرة: الهيئة العامة، ٢٠٠٣م.)، ص ١٥٨-١٦٠

(١٦) ابن العبرى (ت ٦٨٥هـ./ ١٢٨٦م.) غريغوريوس أبو الفرج ابن أهرون الطيب الملطى، تاريخ مختصر الدول، (بيروت، ١٨٩٠)، ص ٢٨٥.

(١٧) محمود سعيد عمران، المغول والأوربيون والصليبيون وقضية القدس، (الإسكندرية: المعرفة الجامعية، ٢٠٠٣)، ص ١١٨- ١١٩.

(18) M. Horage, K. Mann, Lives of the Popes in the Middle Ages, vol. XVII, 1288- 1294, (London, 1931), p. 38

(19) H. H. Howorth, op. cit., III, p. 256

(20) J. A. Boyle, op. cit., p. 556; cf. also:

مصطفى الكنانى، حملة لويس التاسع الصليبية على تونس، (الإسكندرية: منشأة المعارف، ١٩٨٥)، ص ١٤٤- ١٤٥.

(٢١) عرفت القبيلة الذهبية بهذا الاسم نسبة إلى لون مخيماتهم الذهبى، وقد حكمها جورجى Georgy الابن الأكبر لجنكيز خان Chingis Khan (١٢٠٦-١٢٢٧م.) وقد حكم بعده ولدن هما باتو Batu (١٢٤٣- ١٢٥٦م.) وعرفت سلالته باسم القبيلة الزرقاء في جنوب روسيا وغرب بلاد القفجاق منذ عام ١٢٢٧م. حتى ١٣٨٠م.، والثانى هو أوردا Urda الذى عرفت سلالته باسم القبيلة البيضاء وحكمت منذ ١٢٢٦م. حتى ١٤٨١م. وحكمت في سيبريا وشرقى بلاد القفجاق أما الأغطائيين فهم مغول إقليم ما راء النهر وتركستان الشرقية من أتباع أجوتاى Ogotai الابن الثالث لجنكيز خان وسلالته التي امتد حكمها من ١٢٢٧ إلى ١٣٧٠م. راجع: S. Runciman, op. cit., III, p.p. 320, 331- 332

(٢٢) ابن عبد الظاهر، (ت ٦٩٢هـ/ ١٢٩٢م.) القاضي محيي الدين أبو الفضل، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق عبد العزيز الخويطر (الرياض، ١٩٧٦م.)، ص ٣٠٨. راجع أيضاً:

Grigor of Akanc, History of Nation of the Archers, (the Mongols), The Armenian text, ed. with Eng. Trans, and notes by Robert Blak, and Richard Frye, HJAS, nos. 3, 4, (vol. 12) (Dec., 1949), pp. 269- 443, reprinted by: Harvard University Press (Cambridge, 1954), (pp. 1- 132), pp. 101- 102.

(23) J. Richard, "The Mongols and the Franks", in: JAH, (vol. III, 1969), pp. 52- 53

(24) James of Aragon, The Chronicle, trans. By:John Forster, (London, 1883), II, pp. 594- 598

(25) J. R. Strayer, "The Crusades of Louis IX", ed. by: K. M. Setton in: A History of the Crusades, 6 vols., (Wisconsin University Press,1958- 1989), II, pp. 513- 516

(26) M. Prestwich, Edward I, (England: Yale U. P., 1973), p. 66 ff. cf. also: J. A. Boyle, op. cit., p. 558

(٢٧) ابن عبد الظاهر: المصدر السابق، ص ٣٣٩– ٣٤٢، ٥٠٤– ٤٠٨.

(٢٨) اسمه في الأصل ثيوبولد Theobold، جاء اختياره بعد شغور كرسي الباباوية حوالى ثلاثة أعوام، وضع في حسبانه ثلاثة أهداف؛ الخروج بحملة صليبية وتوحيد الممالك المسيحية بما فيها الإمبراطورية البيزنطية مما يعنى توحيد كنيستى روما والقسطنطينية وكذلك إجراء إصلاحات كنيسة من شأنها دعم مشاريعه. راجع:

The Oxford Dictionary of Popes, by J. N. D. Kelly, (Oxford U. P. 1996), pp. 197- 198.

(29) H. J.Schroeder, (trans, Commentary. Rev.), Disciplinary Decrees of the General Councils text (London: B. Herber, 1937), pp. 330- 364

وقد حضر هذا المجلس خمسمائة من الأساقفة وسبعون من رؤساء الأديرة وألف من الرتب الدينية الصغيرة وملك أراجون وعدد من البطاركة الشرقيين وملوك أوروبا أو ممثليهم حيث أقروا في اجتماعهم على تسوية بعض الخلافات حول شرعية الحكم والقواعد الخاصة بانتخاب بابا جديد.

(٣٠) أرسل أبغا سفارة مكونة من ستة عشر عضواً على رأسهم الراهب داوود الأشبى المقيم طرفه لحضور جلسات مجمع ليون الثانى بغرض لفت أنظار الحضور إلى أهمية التعاون ضد المماليك وقام أحد أعضاء البعثة بتلاوة تقرير الخان في هذا الشأن في الجلسة الرابعة المجمع في السابع من يوليو والذى عرض فيه التحالف مع المسيحيين ضد المسلمين مشيراً إلى جهود مغول فارس بغرض دحر المسلمين منذ عهد سابقه هولاكو. راجع:

"Un Episodio delle relazioni …", pp. 361- 372;

عادل إسماعيل هلال، المرجع السابق، ص ١١٤– ١١٥، ٢٧٧– ٢٨٢.

(31) H. H., Howorth, op. cit., p. 280.

(٣٢) عادل إسماعيل هلال، المرجع السابق، ص ١٦٦– ١١٩.

(33) P. Sykes, History of Persia, 2 vols, (London: Macmillan, 1958), II, p. 102

(34) Florence of Worcestre, The Chronicle of Florence of Worcester, Trans. from Latin by Thomas Forester, (London: H. G. Bohn, 1854), p. 357.

ورث فيليب الثالث عن أسلافه دولة قوية وإدارة منظمة ساعدت على إظهاره بشكل أكبر من واقعه نجح في تقويه الملكية المركزية وضم عديد من المقاطعات دعماً لوحدة فرنسا، راجع:

J. Evans, Medieval France (Oxford U. P., 1925), p. 30.

(٣٥) ولى حكم إنجلترا وهو في السابعة والثلاثين من العمر، وكان ملكاً طموحاً قوى الإدارة، على جانب وافى من العلم له خبرته العسكرية من خلال نشاطاته الحربية منذ أن كان أميراً. وتبوأت تشريعاته مكانة رفيعة في تاريخ إنجلترا بل وباقى القارة الأوروبية. وخلد عهده بانعقاد البرلمان النموذجى في عام ١٢٩٥. راجع:

Matthew of Westminister, Flowers of History, trans. C. D. Yonge, 2 vols., (London, 1853) II, pp. 470- 476; cf. also: M. Prestwich, op. cit, Passim.

(36) H. H. Howorth, op. cit., p. 281

(٣٧) الكرجيون هم أهالى مملكة جورجيا المسيحية ومكانها إقليم القوقاز حالياً خضعت لحكم المغول في عام ١٢٢٦م. أما ملكها الذى عاصر الأحداث أعلاه فهو ديمترى الثانى Demetrius II (١٢٦٩– ١٢٨٨م.) وقد اتسعت حدود مملكته حتى ضمت قبائل عديدة أهمها من الأرمن، وشهد القرنان الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين نهضة في شتى المجالات. راجع:

K. Salia, A History of the Georgian Nation, (Paris, 1983), pp. 83- 85.

(38) Het'um the Armenian, The Flower of Histories of the East, Trans. by: Robert Bedrosian, (New Jersy: Long Branch, 2004), ch. 36: 2.

لم تشر المصادر المهتمة بسرد تفاصيل المعركة إلى دور للفرنجة فيها مما يؤكد التزامهم بموقف الحياد، ولمزيد من التفاصيل عن المعركة راجع: الهمذانى، (ت ٧١٩هـ./ ١٣٢١م.) رشيد الدين فضل الله، جامع التواريخ (تاريخ المغول) مج ١– ٢ تعريب: محمد صادق نشأت، محمد موسى الهنداوى، فؤاد عبد المعطى الصياد، مراجعة: يحيى الخشاب، (القاهرة، ١٩٦٠م.)، م ٢ جـ ٢ ص ٨٣، ٨٤؛ ابن العبرى، المصدر السابق، ص ٥٠٤؛ أما الخطاب فراجعه في:

Joseph de Cancy, "A Crusader's Letter from the Holy Land" dated May 1282 A.D. in: PPTS, vol. V, part 3, by: C. W. Wilson, (London, 1890), p. 12.

(39) D. Sinor, op. cit., pp. 49- 50

(40) Marco Polo, The Travels of Marco Polo (The Venetian), Revised from Mardsen's Translation, and edited with Introduction by: Manuel Komroff, (New York: Liveright Co., 1930), pp. 342, 343.

(41) M. Abel-Rémusat, op. cit., pp. 355- 356.

(42) C. Caben, "The Mongols and The Near East", in: A History of the Crusades, (ed.) K. M. Setton, (Wisconsin U. P., 1969), II, p. 722

(43) J. B. Chapot (tr), "Histoire de Mar Jabalaha III et du Moine Rubban Saum", ROL, Tomes, I- II, (Paris 1893- 1894), I, pp. 185- 193.

ينتمى هونوريوس الرابع إلى أرستقراطية، حمل اسم هونوريوس تشبهاً بعمه البابا هونوريوس الثالث (١٢١٦– ١٢٢٧م.) كان من المؤيدين لحزب الأنجويين The Angivenes شارل كونت أنجو حيث كان أحد الذين عينوه ملكاً لصقلية، وبصفة عامة فترت الروح الصليبية في عهده، وللمزيد راجع:

The Oxford Dictionary of the Popes, pp. 204- 205.

(44) argon (can) A letter to the Pope…, dated 15th May 1285 AD, in: Christians in China before 1550, ed. by: A. C. Moule, (London: Macmillan, 1930), pp. 105- 107.

(45)W.M.Baldwin, "Missions in the Province of Sultaniyeh", in: A History of the Crusades, ed. by: K. M. Setton, (6 vols.), (Wisconsin University Press, 1958- 1989), III, p. 530.

(46) Argon (can), A letter to the Pope…, op .cit., p. 106

(47) Ibid., pp 106-107

(48) J. B. Chabot, "Notes sur les relations du roi Argun avec L'Occident", pp. 569- 571

(49) P. Bedjan, The History of Mar Jab-Alaha and Rabban Sawma: Gorgias Historical Texts (14), (Gorgias Press, 2007), pp. 22- 23.

(٥٠) هو الابن الأكبر لميخائيل الثامن كانت فيه جميع نقائض أبيه وهى التهور والخيانة والقسوة، أضف إلى ذلك نقائض أخرى لم تكن في أبية وهى الجبن والميل

إلى الخرافات. سادت الإمبراطورية في عهده نحو الخراب وتعددت الكوارث، شجب سياسة أبيه الراحل الداعية إلى الاتحاد مع الكنيسة الغربية مما أكسبه حب بطاركة القسطنطينية وشعبه. راجع: شارل أومان، الإمبراطورية البيزنطية، تعريب: مصطفى طه بدر، (القاهرة: دار الفكر العربى، ١٩٥٣)، ص ٢٤٢– ٢٤٥؛ دونالد نيكول، المرجع السابق، ص ٨١– ٨٣.

(51) Rabban Sawma, op. cit., p. 64.

(52) Rabban Sawma, op. cit., pp. 167- 170.

(53) Rabban Sawma, op. cit., pp. 171- 182.

(٥٤) عُرف بهذا الاسم لجماله، سار على نهج أسلافه في حكم فرنسا من تقويه السلطة المركزية وإخضاع كافة الطبقات من رجال الدين والأشراف والعامة لحكم القانون، وأحدث تنمية واضحة في مجال الاقتصاد حيث شجع الصناعة والتجارة إلى جانب الزراعة معتمداً على رجال القانون. وكانت الباباوية ومؤسساتها أكبر خصومة في الخارج، عُرف ببعد نظره وقوة عزيمته ومهارته السياسية، ولحاجته المستمرة للمال اتخذ بعض الإجراءات التعسفية. ولمعرفة المزيد راجع:

A Biographical Dictionary, The late Medieval Age of Crisis, and Renewal, 1300- 1500, ed. by: Clayton J. Drees, (London: Green Wood 2001), art Philipe IV.

(55) Rabban Sawma, op .cit., pp. 182- 185

(٥٦) محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص ٣٥٤.

(57) The Chronicle of Bury st Edmunds 1212- 1301, Ed. & trans. from Latin by A. Gransden, (London, 1964), p. 63.

(58) N. Mclean, op. cit., pp. 301, 302.

(٥٩) تم انتخابه بإجماع الكرادلة فاعتلى الكرسى في الثانى والعشرين من فبراير، فكان أول من اعتلاه من الرهبان الفرنسيسكان، أدار شئون الباباوية من خلال قصر أقامه بجوار كنيسة اللاتيران Lateran، وعرف بلقب "أبو المهام" نظراً لإفادة الراهب جون أف مونت كورفينو John of Mont Corvino (ت ١٣٢٨م.) للتبشير بين المغول في الصين، كما أرسل بمبشرين فرنسيسكان آخرين إلى البلقان

والشام وفارس، كما أجرى بعض الإصلاحات داخل الكنيسة. وعن تلك الشخصية راجع:

J. Richard, "Le de'but des relations entre la Papaute et les Mongols de Perse" JA 237 (1949) (pp. 291- 297).

(60) Rabban Sawma, op. cit., p. 189;

وتفيد إحدى الدراسات بأن البابا كان حريصاً على علاقته برابان ساوما وبزيارته إذ من خلالها يمكن تكوين تصور ما للمداخل التي من خلالها يمكنه التبشير بين المسيحيين الشرقيين النساطرة. راجع:

J. D. Ryan, The Interrelation of the Oriental Mission and Crusade Activities of the Papacy under Nicholas IV (1288-1292), (unpublished ph. D. Dissertation, New York University, 1972), p. 16.

(61) Rabban Sawma, op. cit., pp. 195- 197.

هذا وقد قام المؤرخ شابو Chabot بنشر الرسائل التي عاد بها ساوما، وعددها تسع، نقلاً عن سجلات الفاتيكان. يمكن مراجعتها في:

J. B. Chabot, "Notes dur les relations du roi Argun", pp. 609-618.

(62) Bar Hebraeus, The Chronography of Gregory Abu'l Faraj, The son of Aaron, trans. W. Bndge, (2 vols.), (Oxford up 1976), I, p. 492.

(٦٣) ابن أيبك الدوادارى: (ت ٧٣٢هـ./ ١٣٣١م.) أبو بكر عبد الله بن أيبك، كنز الدرر وجامع الغرر، ج ٨، الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية، تحقيق: أولرخ هارمان، (القاهرة ١٣٩١هـ./ ١٩٧١م.)، ص ٢٣١؛ المقريزى، (ت ٨٤٥هـ./ ١٤٤٢م.) تقى الدين أحمد بن على: السلوك لمعرفة دول الملوك، ٤ ج، حـ ١- ٢، تحقيق: مصطفى زيادة (القاهرة، ١٩٣٦م.)، ج ١، ق ٣، ص ٧٤٧- ٧٤٨.

(64) J. B. Chabot, op. cit., p. 608.

(65) M. Horage, K. Mann, op. cit., XVII, p. 51

(66) E. Haenish, "Zu den Briefen der Mongolis chen II- Khane Argen und Oljeitu an den Philipp den Schonen von Frankreich (1289 u. 1305, Oriens, II, 1949, pp. 216- 235), p. 220

ويمكن مراجعة النص الكامل لهذا الخطاب مترجماً إلى اللغة العربية عند عادل إسماعيل هلال، المرجع السابق، ملحق رقم ٣، ص ٢٨٣– ٢٨٤.

(67) J. B. Chabot, op. cit., pp. 612, 613.

(68) H. Turner, "Unpublished Notices of the Times of Edward I, Especially of his Relations with the Monghul Sovereigns of Persia", from: The Archives of the Tower of London, (ed.), in: The Archaeological Journal, (London, 1851), vol. VIII, pp. 45- 46; cf. also: J. B. Chabot, op. cit., pp. 614- 615.

(69) Matthew of Westminster, op. cit., II, pp. 482- 483.

(70) J. B. Chabot, op. cit., pp. 615- 616; cf. also: M. Horage, K. Mann, op. cit., XVII, p. 51

(71) H. Turner, op. cit., pp. 47- 51

(72) J. D. Ryan, op. cit., pp. 80, 81

(٧٣) تألفت هذه السفارة من خمسة أفراد فقد اصطحب زاجان ابن أخيه جورجى Georgi ورافقهما سبادين الذى كان في صحبة رابان ساوما في سفارته وشخص رابع ذو أصول مغربية أما خامسهم فكان بوسكاريللو رائد السفارة الثالثة. راجع: J. B. Chabot, op. cit., pp. 617-618.

(74) Loc. cit.

وترى إحدى الدراسات أن السفارة واحدة وأنها قسمت إلى اثنتين لظروف أعاقت سبادين عن الخروج مع الدفعة الأولى منها راجع:

J. D. Ryan, op. cit., p. 118.

(75) The Chronicle of Bury St Edmnuds, p. 97; cf. also:

عادل هلال، المرجع السابق، ص ١٢٨.

(76) S. Runciman, op. cit., III, p. 401

(77) M. Horage, K. Mann, op. cit., p. 56

(78) J. B. Chabot, op. cit., p. 619

(79) M. Horage, K. Mann, op. cit., p. 60

(80) Rabban Sawma, op. cit., p. 165

(81) J. B. Chabot, op. cit., p. 612

(82) Loc. cit.; H. H. Howorth, op. cit., III, p. 330

(83) M. Horage, K. Mann, op. cit., XVII, p. 59

(٨٤) دونالد نيكول، المرجع السابق، ص ١٥٩.

(٨٥) انقسم الكرادلة بشدة حول انتخابه ودرس القانون ولذا كان حريصاً على الالتزام بالقواعد في الإدارة وكان وراء تعيين شارل كونت أنجو ملكاً في صقلية ونابولى عام ١٢٦٦م. وإذا كان قد نجح في الحد من نفوذ أسرة الهوهنشتاوفن Hohenstaufen نجده قد ساهم بقوة في توسيع نفوذ أسرة الأنجويين في أوروبا بعامة وإيطاليا بخاصة. راجع:

Oxford Dictionary of Popes, pp. 196- 197.

(86) Kirakas Ganjakets, History of the Armenians, trans. By: Robert Bedrosian, (New York, 1986), ch: 65: 13-14

(87) P. Jackson, The Mongols and The West: 1221- 1410 (The Medieval World), (England: Longman, 2005), p. 167

(88) The Decrees of the Second Council of Lyons on the Crusade 1274, in Housley Norman: Documents on the Later Crusade 1274- 1580, (London; Macmillian Press, 1996), pp. 19, 20.

تطورت قرارات الحرمان في العصور الوسطى حتى أصبحت على درجتين:

* قرارات حرمان صغرى: تحرم الفرد من أن يؤدى الشاعر والطقوس الكنسية.

* قرارات حرمان كبرى تبعد الفرد تماماً عن الإيمان وتحرمه من جميع المزايا التي يتمتع بها المسيحيون، وفى كلتا الحالتين يكون الحجم هو مصير الفرد المحروم من رحمة الكنيسة وأى مسيحى يتعامل معه يكون هو الآخر معرض لتوقيع قرار الحرمان عليه. أما قرار القطع Interdiction فهو حرمان أيضاً من

رحمة الكنيسة إلا أن البابا ينزله على المجتمعات وربما الأمم بشكل جماعى.
راجع:

Catholic Encyclopedia, (ed.) Doglas S. Potter, vol. IV, Robret Appleton Co. online, 2003, Art. Excommunication; A. Boudinhon, vol. VII, 2004, Art. Interdiction.

(89) M. N. Donald, Byzantium and Venice, A study in Diplomatic and Cultural relations, (Cambridge U. P., 1999), pp. 188, 189

(90) E Duffy, Saints and Sinners: A History of the Popes, (Yale U. P., 1997), p.119

وكان الإمبراطور البيزنطى قد أرسل بسفارتين إلى الظاهر بيبرس في عامى ١٢٦٨ و ١٢٧٢م. بل وعقد معاهدة مع المنصور قلاوون في عام ١٢٨١م. هدف السلطان منها تحييد بيزنطة في صراعه مع الصليبيين في حين يتولى المماليك الدفاع عنها أمام أى هجوم بحرى. راجع: القلقشندى (٨٢١هـ. / ١٤١٨م.) أبو العباس أحمد بن على بن أحمد عبد الله: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ١ج، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م.) حـ ١٤، ص ٨٨.

(٩١) تم انتخابه في أجواء ملؤها المكائد وبضغط من شارل كونت أنجو على الكرادلة وكان أكثر البابـاوات في القرن الثالث عشر الذين بدلوا سياسيات من سبقهم. ومكافأة الشارل سلمه صلاحيات وظيفته ووافق أن يكون حراسه من الصقليين. ولمعرفة المزيد راجع:

Oxford Dictionary of Popes, pp. 202- 204.

(92) Giovanni Villani, Villani's Chronicle being selection from the first Nine Books of the Chronicle Fiorentine of Giovanni Villani, trans., Rose E., Self (ed.) by: Archibald Constable and LTD co., (London: 2nd ed., 1906), pp. 267- 270

(93) G. Ostrogorsky, History of the Byzantine State, trans. by: Joan Hussy, (London: Basil Blackwell, 1956), pp. 432-433

(٩٤) كان من أسرة نبيلة وكان قادراً بخبرته الواسعة على التصدى لنفوذ شارل كونت أنجو في إيطاليا مما أشعل بعض الصراعات وينسب إليه أنه أوسع حدود الدولة الباباوية إلى أقصى مساحة لها. راجع:

Oxford Dictionary of Popes, pp. 201- 202.

(95) H. H. Howorth, op. cit., p. 281

(96) J. R. Strayer, "The Crusade against Aragon", Speculum 28, (1953), pp. 102, 103

(٩٧) والكلمة تعنى صلاة الغروب، وقد اتخذت شكل ثورة مركزها مدينة باليرمو Palermo الصقلية حيث نهض الأهالى مع دقات أجراس الكنائس لتعلن صلاة الغروب وذبحوا كل من هو فرنسى في خطة محكمة. ولمعرفة المزيد راجع الدراسة المتخصصة في هذه المذبحة عند:

S. Runciman, The Sicilian Vespers, (Cambridge, 1958), pp. 237- 238.

(98) Giovanni Villani, op. cit., pp. 267- 268

(99) H. D. Sedgwick, Italy in the Thirteenth Century, (New York: Houghton Mifflin Co., 1912), pp. 387- 388

(100) S. Runciman, The SicilianVespers,p.24

(101) Martin IV (The Pope), A letter to Girard Bishop of Sabina, 5th April 1274 A. D., in: Documents on the Later Crusades 1274- 1580, by: Norman Housely, (London, Macmillian Press, 1996), pp. 27, 28

(102) Primat, Chronique de Primat, Tradiute par Jean du Vignay, en: RHGF Tome XXIII, (pp. 1- 106), pp. 101- 102

(103) J. R. Strayer, op. cit., pp. 103-105

(104) Giovanni Villani, op. cit., p. 275; cf. also: S. Runciman, The Sicilian Vespers, p. 242- 243; Abulafia, The Western

Mediterranean Kingdoms 1200- 1500, (London, 1997), pp. 87-88

(105) J. D. Ryan, op. cit., p. 8

(106) Abulafia, op. cit., pp. 111- 1112; cf. also: Oxford Dictionary of Popes, pp. 204- 205

(107) Giovanni Villani, op. cit., pp. 294- 299

(108) M. Horage, K. Mann, op. cit., p. 51

(109) Rabban Sawma, op. cit., pp. 170- 172

(110) M. Pristwich, op. cit., p. 318

(111) Giovanni Villani, op. cit., pp. 298- 299

(112) J. D. Ryan, "Nicholas IV and the Evolution of the Eastern Missionary Effort", A. H. P., XIX (1981), p. 89

لاحظ تغلب النهج التبشيرى لدى البابا نيقولا الرابع على توجهه الصليبى باعتبار أن التبشير بين المغول بالمسيحية يدعم الحرب الصليبية وذلك من خلال جهوده التبشيرية بإرسال الراهب جون أف مونت كورفينو إلى الصين تحقيقاً للهدف. راجع: على أحمد السيد، جهود جون أف مونت كورفينو التبشيرية في الصين، بحث منشور في مجلة الإنسانيات تصدرها كلية الآداب فرع دمنهور جامعة الإسكندرية، العدد ٢٥، (نوفمبر، ٢٠٠٧م.)، (ص ١٩٥– ٢٦٨).

(113) J. B. Chabot, op. cit., pp. 616- 326

(114) J. D. Ryan, The Interrelations…., pp. 16, 18

(115) Nicholas IV (The Pope) A letter to Argon can dated on 2nd April 1288 A. D. in: Christians in China before 1550, ed. by: A. C. Moule, (London: Macmillian, 19630), p. 114

(116) J. J. Saunders, "The Decline and Fall of Christianity in Medieval Asia", in: Muslims and Mongols, ed. by: G. W. Rice, (Newzealand, whitcolls, 1977), pp.81-82

(117) E. Haenish, op. cit., p. 220

(118) Arnold, The Chronicle of Amaldi, in: BTS, (2 vols.), (ed.) by: G. Golubovich, (Quaracchi, 1906, 1913) II, pp. 156, 479

(119) J. D. Ryan, The Interrelations…., pp. 80, 81

(120) P. Alphandery, A. Michel, op. cit., p. 209

(121) P. Throop, A Criticism of The Crusade: A study of public opinion and crusade propaganda, (Philadelphia, 2nd, ed. 1975), p. 28

(122) D. Jacoby, "The Kingdom of Jerusalem and the Collapse of Hohen- staufen power in the Levant", in: DOP, vol. 40, (Harvard u.p., 1986), (pp. 83- 101), p. 83

(123)John of Mont Corvino, The Second letter, op. cit.,p. 225

(124) J. Richard, "La Papuate et Les Missions d'Orientals au Moyen Age (XIIIe- XVe Siécles)", (ed.) in: CMV, (London: Variorum, 1983),

p. 86

(١٢٥) أبو الفدا، (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م.) إسماعيل بن على محمود، الملك المؤيد صاحب حماه، المختصر في أخبار البشر، أربعة أجزاء في مجلدين، بيروت (ب –ت)، جـ ٤، ص ٢٢، ٢٥؛ المقريزى، المصدر السابق، جـ ١، ق ٣، ص ٧٥٤، ٧٦٤.

(126) J. B. Chabot, op. cit., pp. 619, 62

(127) J. Delaville le Roulx, La France en Orient ou XIV siécle Expéditions du maréchal Boucicaut, Sér. I, XLIVXLV, 2 vols, (Paris, 1885-1886), I, pp. 14-15

(128) J. Riley Smith, What were the Crusades, (London, 1977), p. 45

(129) Pierre Dubois, the Recovery of the Holy Land, trans. With an Introduction and Notes by Walter I. Brandt, (U. S. A.: Colombia U. P., 1956), pp. 167, 168

وعن دور شارل أف أنجو الصليبى في السبعينات من القرن الثالث عشر راجع: محمود سعيد عمران، "شارل كونت أنجو بين القسطنطينية وتونس والقدس"، مجلة المؤرخ العربى، العدد السادس، المجلد الأول، القاهرة، ١٩٩٨م.، (ص ١٦٠– ١٩٢)، ص ١٧٢، ١٨٠ – ١٨٢، ١٨٤– ١٩٢.

(١٣٠) H. H. Howorth, op. cit., III, p. 281

(131) H. D. Sedgwick, op. cit., p. 336, cf. also:

سعيد عاشور، أوروبا العصور الوسطى، جـ ١، التاريخ السياسى، (القاهرة: الأنجلو المصرية، ط ٦، ١٩٧٥)، ص ٢٦٥.

(132) S. Runciman, The Sicilian Vespers, pp. 265- 266

(133) J. B. Chabot, op. cit., II, p. 58

(134) B. Z. Kedar, Crusade and Mission: European Approaches towards the Muslims, (Princeton U. P., 1988), p. 164

(١٣٥) أعلن فيليب الرابع عند اعتلائه العرش أن الحدود الطبيعية لبلاده هي الراين والألب والبرانس، وعليه أخذ يعمل على ضم الجهات الخارجة عن نفوذه. فمن قبل كان قد ضم بالزواج اقليم شامباين وتطلع أيضا إلى ضم جوين وجاسكونى المملوكتين لملك انجلترا. واصطدم به ثانية حول النشاط الاقتصادى لإقبيم فلاندرز وحول قضايا أخرى. ولم تنته المنازعات مرحليا بين الدولتين إلا بعقد صلح عام ١٣٠٣ م . راجع: سعيد عاشور، المرجع السابق، جـ١، ص ٢٦٦–٢٦٨.

(136) J. D. Ryan, op. cit., pp. 89- 9

(137) S. Schein, "Philip IV The Fair and the Crusade: A Reconsideration", in: Crusade and Settlement, ed. by: P. W. Edbury, (Cardiff University Press, 1985), (pp. 121- 126), pp. 121, 122

(138) Registers de Nicholas IV, (ed.) Ernest Langlois, part of the Series Registres des Papes des XIII et XIV Siecles, (Paris,

1905) nos. 613, 1634; cf. also: J. D. Ryan, The Interrelation…., p. 80

(139) J. Evans, op .cit., p. 31; J. L. La Monte, The World of Middle Ages (New York, 1949), p. 470; A Biographical Dictionary, by: J. D., Clayton Art. Philipe IV

(140) C. Stephenson, Mediaeval History, (New York, 1951), p. 386

(١٤١) من ذلك أن أرسل صليبيو الشرق الأتينى باستغاثاتهم إلى شارل كونت أنجو لنجدتهم من المماليك من خلال خطاب عام ١٢٦٠م. راجع النص والتقديم له في:

Un Lettre des Chretiens de Terra Sainte a Charles D'Anjou dans 22 Avril 1260 A. D. in: ROL, ed.: Thomas Angi, (Paris, 1894) II, (pp. 201- 216), p. 207.

(١٤٢) حسن عبد الوهاب حسنين، تاريخ جماعة الفرسان التيوتون في الأراضى المقدسة (١١٩٠-١٢٩١م) (الاسكندرية: المعرفة الجامعية، ١٩٨٩) ص ٣٢٠.

(١٤٣) ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام والعصور في سيرة المنصور، حققه: مراد كامل (القاهرة، ١٩٦١م.)،ص٧٥-٨٠

(144) J. R. Strayer, op. cit., pp. 516- 520

(145) "Gestes des Chiprois", RHCDoc. Arm., 2 vols., (Paris, 1906), II, p. 777; cf.also: Matthew of West Minister,op.cit.,II, p. 450; المقريزى، المصدر السابق، جـ ١، ق ٣، ص ٦٠٠.

(146) M. Prestwich, op. cit., pp. 66- 72

(١٤٧) العمرى (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م.) ابن فضل الله شهاب الدين، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: دولة المماليك الأولى، تحقيق: دورو تياكرافولسكى (بيروت: المركز الإسلامى للبحوث، ط ١، ١٩٨٦م.)، ص ١٠٤. راجع أيضاً:

D. Sinor, op. cit., p. 32.

(148) P. Sykes, op. cit., II, p. 103

(149) Florence of Worcester, op. cit., pp. 357, 363

(150) Joseph de Cancy, op. cit., pp. 1-16
(151) W. M. Baldwin, op .cit., p. 531
(152) C. Stephenson, op. cit., pp. 379- 381
(153) M. Prestwich, op. cit., pp. 356- 375
(154) Matthew of Westminster, op .cit., II, pp. 470- 475
(155) W. E. Lunt, Financial Relations of the Papacy with England to 1327, (Cambridge: Mass, 1939), pp. 339- 344
(156) J. B. Chabot, op. cit., pp. 592- 593; B. Supler, History of the Mongols, (Los Angeles, 1972), pp. 144- 142
(157) Howorth, op. cit., p. 343
(158) Marco Polo, op. cit., pp. 343, 344
(159) Michael Pristwich, op. cit., pp. 313- 314, 330

بيان بأهم المختصرات الواردة في البحث

- **AHP**: Archivum Historiae Pontificum.

- **BEFAR**: Bibliothéque des Ecoles Française d' Athènes et de Rome.
- **BTS**: Biblioteca Bio-Bibliografica della Terra Santa.
- **CMV**: Croisades et Missionaires et Voyages.
- **DOP**: Dumbarton Oaks Paper.
- **HER**: English Historical Review.
- **HJAS**: Harvard Journal of Asiatic Studies.
- **HMIRF**: Histoire et Memoire de L'Insitut Royal de France, Academie des Inscriptions et Belles- Lettres.
- **JA**: Journal Asiatique.
- **JAH**: Journal of Asian History.
- **RHC Doc. Arm**: Recuiel des Historiens des Croisades Documents Armeniens.
- **RHGF**: Recueil des Historiens des Gaules et de France.
- **ROL**: Revue de L'Orient Latin.
- **PPTS**: Palestine Pilgrims Texts Society.

بيان بمصادر ومراجع البحث

أولا: المصادر الأجنبية:

- M. Abel-Rémusat, "Relations Diplomatiques de Princes Chrétiens avec les Rois de Perse de La race de Tchinggis, depuis Houlagou, jusqu'au régne d'Abousaïd", en: HMIRF, tome VII, (Paris, 1822).
- The Chronicle of Bury St. Edmunds 1212- 1301, Ed. & trans. from Latin by A. Gransden, (London, 1964).
- Argon (can) A letter to the Pope, dated 15th May 1285 AD, in: Christians in China before 1550, ed. by: A. C. Moule, (London: Macmillan, 1930).
- Bar Hebraeus, The Chronography of Gregory Abu'l Faraj, The son of Aaron, trans. W. Bndge, (2 vols.), (Oxford up 1976).
- J. B. Chabot, "Notes sur les Relations du roi Argun avr L'Occident", ROL, II, (Paris, 1894), pp. 566- 644.
- "Christians in China under the Mongol Empire, Item: King George", in Christians in China Before the Year 1550, ed. by: A. C. Moule, (pp. 234- 240).
- The Decrees of the Second Council of Lyons on the Crusade 1274, in Housley Norman: Documents on the Later Crusade 1274- 1580, (London; Macmillian Press, 1996).

- "Un Episodio delle relazioni tra la Santa Sende ei Mongoli (1274)" ed. by: G. Borghezio in: Rome, (vol. 4), 1936, (p.p. 361- 372).
- Florence of Worcestre, The Chronicle of Florence of Worcester, Trans. from Latin by Thomas Forester, (London: H. G. Bohn, 1854).
- "Gestes des Chiprois", RHC Doc. Arm., 2 vols., (Paris, 1906).
- Giovanni Villani, Villani's Chronicle being selection from the rift Nine Books of the Chronicle Fiorentine of Giovanni Villani, trans., Rose E., Self (ed.) by: Archibald Constable and LTD co., (London: 2nd ed., 1906).
- Grigor of Akanc, History of Nation of the Archers, (the Mongols), The Armenian text, ed. with Eng. Trans, and notes by Robert Blak, and Richard Frye, HJAS, nos. 3, 4, (vol. 12) (Dec., 1949), pp. 269-443, reprinted by: Harvard University Press (Cambridge, 1954), (pp. 1- 132).
- E. Haenish, "Zu den Briefen der Mongolis chen II-Khane Argen und Oljeitu an den Philipp den Schonen von Frankreich (1289 u. 1305, Oriens, II, 1949).

- Het'um the Armenian, The Flower of Histories of the East, Trans. by: Robert Bedrosian, (New Jersy: Long Branch, 2004).
- James of Aragon, The Chronicle, trans. By: John Forster, (London, 1883).
- John of Monte Corvino, The Second letter to brother Peregrine and Andrew of Perugia, Given in 8th Jan 1305 A. D., in: C. Dawson, The Mongol Mission Narratives and letters of the Franciscan Missionaries in Mongolia and China in the Thirteenth and Fourteenth Centuries, (New York: Sheed and Ward, 1955), (p.p. 224- 227).
- Joseph de Cancy, "A Crusader's Letter from the Holy Land" dated May 1282 A.D. in: PPTS, vol. V, part 3, by: C. W. Wilson, (London: 1890), (pp. 1-16).
- Kirakas Ganjakets, History of the Armenians, trans. By: Robert Bedrosian, (New York, 1986).
- Un Lettre des Chretiens de Terra Sainte a Charles D'Anjou dans 22 Avril 1260 A. D. in: ROL, ed.: Thomas Angi, (Paris, 1894) II, (pp. 201- 216).
- Marco Polo, The Travels of Marco Polo (The Venetian), Revised from Mardsen's Translation, and edited with Introduction by: Manuel Komroff, (New York: Liveright Co., 1930).
- Martin IV (The Pope), A letter to Girard Bishop of Sabina, 5th April 124 A. D., in: Documents on the

Later Crusades 1274- 1580, by: Norman Housely, (London, Macmillian Press, 1996).
- Matthew of Westminister, Flowers of History, trans. C. D. Yonge, 2 vols., (London, 1853).
- Nicholas IV (The Pope) A letter to Argon can dated on 2nd April 1288 A. D. in: Christians in China before 1550, ed. by: A. C. Moule, (London: Macmillian, 19630).
- Pierre Dubois, the Recovery of the Holy Land, trans. With an Introduction and Notes by Walter I. Brandt, (U. S. A.: Colombia u. p., 1956).
- Primat, Chronique de Primat, Tradiute par Jean du Vignay, en: RHGF Tome XXIII, (pp. 1- 106).
- Rabban Sawma, The Monks of Kublai Khan.. or the History of the life and travels of Rabban Sawma, trans. by: Wallis Budge, (London: Religion Tract Society, 1928).
- H. J. Schroeder, (trans, Commentary. Rev.), Disciplinary Decrees of the General Councils text (London: B. Herber, 1937).
- H. Turner, "Unpublished Notices of the Times of Edward I, Especially of his Relations with the Mongols Sovereigns of Persia", from: The Archives of the Tower of London, (ed.), in: The Archaeological Journal, (London, 1851).

ثانيا: المصادر العربية:

– ابن أيبك الدوادارى: (ت ٧٣٢هـ./ ١٣٣١م.) أبو بكر عبد الله بن أيبك، كنز الدرر وجامع الغرر، ج ٨، الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية، تحقيق: أولرخ هارمان، (القاهرة ١٣٩١هـ./ ١٩٧١م.).

– ابن عبد الظاهر (ت ٦٩٢هـ/ ١٢٩٢م.) القاضى محيى الدين أبو الفضل، تشريف الأيام والعصور في سيرة المنصور، حققه: مراد كامل (القاهرة، ١٩٦١م.).

– الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق عبد العزيز الخويطر (الرياض، ١٩٧٦م.).

– ابن العبرى (ت ٦٨٥هـ./ ١٢٨٦م.) غريغوريوس أبو الفرج ابن أهرون الطيب الملطى، تاريخ مختصر الدول، (بيروت، ١٨٩٠).

– العمرى (ت ٧٤٩هـ./ ١٣٤٩م.) ابن فضل الله شهاب الدين، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: دولة المماليك الأولى، تحقيق: دورو تياكرافولسكى (بيروت: المركز الإسلامى للبحوث، ط ١، ١٩٨٦م.).

– أبو الفدا، (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م.) إسماعيل بن على محمود، الملك المؤيد صاحب حماه، المختصر في أخبار البشر، أربعة أجزاء في مجلدين، بيروت (د – ت).

– القلقشندى (٨٢١هـ. / ١٤١٨م.) أبو العباس أحمد بن على بن أحمد عبد الله: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ١ج، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م.).

- المقريزى، (ت ٨٤٥هـ./ ١٤٤٢م.) تقى الدين أحمد بن على: السلوك لمعرفة دول الملوك، ٤ ج، حـ ١- ٢، تحقيق: مصطفى زيادة (القاهرة، ١٩٣٦م.).
- الهمذانى، (ت ٧١٩هـ./ ١٣٢١م.) رشيد الدين فضل الله، جامع التواريخ (تاريخ المغول) مج ١-٢ تعريب: محمد صادق نشأت، محمد موسى الهنداوى، فؤاد عبد المعطى الصياد، مراجعة: يحيى الخشاب، (القاهرة، ١٩٦٠م.).

ثالثا: المراجع الأجنبية:

- Abulafia, The Western Mediterranean Kingdoms 1200-1500, (London, 1997).
- P. Alphandery, A. Michel, La Chrétiente et L'ideé de Croisade, (Paris, 1959).
- W. M. Baldwin, "Missions in the Province of Sultaniyeh", in: A History of the Crusades, ed. by: K. M. Setton, (6 vols.), (Wisconsin University Press, 1958- 1989).
- P. Bedjan, The History of Mar Jab-Alaha and Rabban Sawma: Gorgias Historical Texts (14), (Gorgias Press, 2007).
- A Biographical Dictionary, The late Medieval Age of Crisis, and= Renewal, 1300- 1500, ed. by: Clayton J. Drees, (London: Green Wood 2001).

- J. A. Boyle: "The 11th. Khans of Persia and the Christian West" in: History Today, XXXIII, 8, 1973, (pp. 551- 562).
- C. Caben, "The Mongols and The Near East", in: A History of the Crusades, (ed.) K. M. Setton, (Wisconsin U. P., 1969).
- Catholic Encyclopedia, (ed.) Doglas S. Potter, vol. IV, Robret Appleton Co. online, 2003, Art. Excommunication; A. Boudinhon, vol. VII, 2004.
- J. Delaville le Roulx, La France en Orient ou XIV siécle Expéditions du maréchal Boucicaut, Sér. I, XLIVXLV, 2 vols, (Paris, 1885-1886).
- M. N. Donald, Byzantium and Venice, A study in Diplomatic and Cultural relations, (Cambridge U. P., 1999).
- E Duffy, Saints and Sinners: A History of the Popes, (Yale U. P., 1997).
- J. Evans, Medieval France (Oxford U. P., 1925).
- M. Horage, K. Mann, Lives of the Popes in the Middle Ages, vol. XVII, 1288- 1294, (London, 1931).
- H. H. Howorth, History of the Mongols: from the 9th to the 19th Century, 3 vols. (London 1888).
- D. Jacoby, "The Kingdom of Jerusalem and the Collapse of Hohen staufen power in the Levant", in: DOP, vol. 40, (Harvard u.p., 1986), (pp. 83- 101).

- P. Jackson, The Mongols and The West: 1221- 1410 (The Medieval World), (England: Longman, 2005).
- B. Z. Kedar, Crusade and Mission: European Approaches towards the Muslims, (Princeton U. P., 1988).
- J. L. La Monte, The World of Middle Ages (New York, 1949).
- W. E. Lunt, Financial Relations of the Papacy with England to 1327, (Cambridge: Mass, 1939).
- N. Mclean, "An Eastern Embassy to Europe in the years 1287- 1288", HER, XIV,
(London: 1899)(pp. 299-318).
- G. Ostrogorsky, History of the Byzantine State, trans. by: Joan Hussy, (London: Basil Blackwell, 1956).
- The Oxford Dictionary of Popes, by J. N. D. Kelly, (Oxford U. P. 1996).
- M. Prestwich, Edward I, (England: Yale U. P., 1973).
- T. Ralph, The Great Cultural Traditions, the Foundations of Civilization, The Classical Empires, (2 vols.), (New York, 1949).
- J. Richard, "Le de'but des relations entre la Papaute et las Mongols de Perse" JA 237 (1949).
- - , "The Mongols and the Franks", in: JAH, (vol. III, 1969), (pp. 49- 57).

- - , "La Papuate et Les Missions d'Orientals au Moyen Age (XIII^{e}- XV^{e} Siécles)", (ed.) in: CMV, (London: Variorum, 1983), (pp. 65- 94).
- J. Riley Smith, What were the Crusades, (London, 1977).
- S. Runciman, A History of Crusades, 3 vols., (Cambridge, 1951-1954).
- - , The Sicilian Vespers, (Cambridge, 1958).
- J. D. Ryan, The Interrelation of the Oriental (Mission and Crusade Activities of the Papacy under Nicholas IV (1288- 1292), (unpublished ph. D. Dissertation, New York University, 1972).
- J. J. Saunders, "The Decline and Fall of Christianity in Medieval Asia", in: Muslims and Mongols, ed. by: G. W. Rice, (Newzealand, whitcolls, 1977), (pp. 77-98).
- H. D. Sedgwick, Italy in the Thirteenth Century, (New York: Houghton Mifflin Co., 1912).
- S. Schein, "Philip IV The Fair and the Crusade: A Reconsideration", in: Crusade and Settlement, ed. by: P. W. Edbury, (Cardiff University Press, 1985), (pp. 121- 126).
- D. Sinor, "The Mongols in the West", in: JAH, vol. 33, no. 1, (1999), (pp.1-64).
- C. Stephenson, Mediaeval History, (New York, 1951).

- J. R. Strayer, "The Crusade against Aragon", Speulum 28, (1953)

K. Salia, A History of the Georgian Nation, (Paris, 1983).

- - , "The Crusades of Louis IX", ed. by: K. M. Setton in: A History of the Crusades, 6 vols., (Wisconsin University Press, 1958- 1989), II, (pp. 487- 522).

- B. Supler, History of the Mongols, (Los Angeles, 1972).

- P. Sykes, History of Persia, 2 vols, (London: Macmillan, 1958).

- P. Throop, A Criticism of The Crusade: A study of public opinion and crusade propaganda, (Philadelphia, 2nd, ed. 1975).

رابعا: المراجع العربية والمعربة:

– اسحق عبيد، الدولة البيزنطية في عصر باليولوغوس (١٢٦١– ١٢٨٢)، (بيروت: دار الكتب، د– ت).

– حسن عبد الوهاب حسنين، تاريخ جماعة الفرسان التيوتون في الأراضى المقدسة، (١١٩٠–١٢٩١) (الاسكندرية: المعرفة الجامعية، ١٩٨٩).

– دونالد نيكول، معجم التراجم البيزنطية، ترجمة وتعليق: حسن حبشى، (القاهرة: الهيئة العامة، ٢٠٠٣م).

– سعيد عاشور، أوروبا العصور الوسطى، جـ ١، التاريخ السياسى، (القاهرة: الأنجلو المصرية، ط ٦، ١٩٧٥.

– شارل أومان، الإمبراطورية البيزنطية، تعريب: مصطفى طه بدر، (القاهرة: دار الفكر العربى، ١٩٥٣).
– عادل إسماعيل هلال، العلاقات بين المغول وأوروبا وأثرها على العالم الإسلامى، (القاهرة: عين للدراسات، ١٩٩٧م).
– على أحمد السيد، جهود جون أف مونت كورفينو التبشيرية في الصين، بحث منشور في مجلة الإنسانيات تصدرها كلية الآداب فرع دمنهور جامعة الإسكندرية، العدد ٢٥، (نوفمبر، ٢٠٠٧م.).
– محمود سعيد عمران، "شارل كونت أنجو بين القسطنطينية وتونس والقدس"، مجلة المؤرخ العربى، العدد السادس، المجلد الأول، القاهرة، ١٩٩٨م.، (ص ١٦٠– ١٩٢).
– ـ، المغول والأوربيون والصليبيون وقضية القدس، (الإسكندرية: المعرفة الجامعية، ٢٠٠٣).
- مصطفى الكنانى، حملة لويس التاسع الصليبية على تونس، (الإسكندرية: منشأة المعارف، ١٩٨٥).